قادمة
من
نيويورك

تأليف
ليلى أحمد عناني

obeikandl.com

ح ليلى أحمد عناني، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عناني، ليلى أحمد

قادمة من نيويورك. /ليلى أحمد عناني ـ الرياض.

١٤١ص، ١٤×٢١سم

ردمك: ٤-٨٦٧-٤٦-٩٩٦٠

١- القصص القصيرة العربية ـ السعودية أ- العنوان

ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ١٤٢٥/٦٣٩٥

ردمك: ٤-٨٦٧-٤٦-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٥/٦٣٩٥

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م

حقوق الطباعة محفوظة للمؤلفة

يطلب من

شركة مكتبة العبيكان Obeikan Publishers & Booksellers

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤١٦٠٠١٨ـ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

obeikandl.com

obeikandl.com

الإهداء

إلى أبنائي وبناتي

إلى كل صاحب قلم يخط بحروف

لغتنا الجميلة كل جميل

أهدي كتابي بكل حب وتقدير.

ليلى أحمد عناني

obeikandl.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
مقدمة	١١
قادمة من نيويورك	١٣
أنا لست رقيباً أو عتيداً !!	١٦
أنا وحذائي وحظي!!	١٨
عيون خلف القضبان!!	٢١
كلام في كلام	٢٣
أخلاقيات خارج النوايا الحسنة !	٢٥
هدير وألحان !!	٢٧
لتنظروا بعيني!!	٣٠
هروب وقيود!!	٣٢
أين النهاية!؟	٣٤
شكراً أيها الطبيب!!	٣٦
خلف ستار المسيار !	٣٩
"تعاسة خلف أبواب مُغلقة"!	٤٢
بصيص من أمل...	٤٧
الفصل الأخير !!	٤٩
المقاعد الحمراء!!	٥١

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
هاوية الغرور!	٥٣
الحب والحياة!!	٥٥
احتلال لغوي!؟	٥٧
أوراق مبعثرة !	٥٩
أمـــــي!!	٦١
عين السمكة!	٦٣
إجازة سعيدة!؟	٦٥
أحضان الضياع !	٦٨
اختبار للشجاعة	٧٠
الضحية !!	٧٢
تركني من أجلها!	٧٤
خدعهُ أبي.. وظلمني !؟	٧٦
دعوة للتثاؤب!!	٧٩
طريق المأذون !	٨١
ظلم بني الانسان !	٨٤
عذاب الحرمان ..!!	٨٦
قلب بلا قلب!!	٨٨
مطاعم .. مطاعم!!	٩٠
المنافسة الصغيرة!	٩٢
نحن لم نُخلق كباراً !؟	٩٤
إلى أن تغلبنا الأيام	٩٦
الصيـــاد	٩٨

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
وضحـــــى	١٠٠
اجتماع ومجتمعون!!	١٠٢
عمالقة فوق أهرامات؟!	١٠٥
المــرأة والجنـــي	١٠٨
الحصـــار!!	١١١
القيد الأخير	١١٤
المهرجان الفريد!	١١٦
نداء الحب	١١٩
أظافر مسمومة!؟	١٢٢
إلى فلسطين الأبية	١٢٥
موقع وصورة!؟	١٢٧
رمضام عام ألفين وواحد	١٣٠
شر البلية ما يُضحك من الأعماق!؟	١٣٢
ومن الصداقة ما قتل!؟	١٣٤
هوليوود على أرض العراق!	١٣٦
أقبل إذلالي مع التقدير !!	١٣٨
هستيريا الحروب!!	١٤٠

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

أسعدني أن تحوز كتاباتي على إعجاب قرائها، فصدى قلمي وجد طريقه إلى كثير من القلوب التي شعرت به؛ فكان حافزاً لي لجمع بعضها في كتابي هذا.

مواقف في الحياة كثيرة مررت بها، منها ما كان مضحكاً فأحببت إلقاءها بطريقة تضفي على قلب القارئ المرح في وقت ملأ الحزن قلوب الكثيرين منا، ومنها ما كان مؤلماً وأبكاني فنقلته إلى الغير لعله يلمس أوتار قلوبهم ومنها ما كان من وحي قلمي.

كنت حريصة في كتاباتي ألا يبالغ قلمي في المجاملات، وأن يبعد كل البعد عن الرياء؛ لأن القول الصادق يدخل إلى القلوب دون استئذان، كما يصر قلمي على احترام القارئ، وهو أيضاً مترجم لحروف كلماتي.

إليك قارئي العزيز أقدمها، لعلك تجد فيها متعة، وإفادة. وقد أخرجت به بعضاً من تجاربي ومشاعري وتجارب آخرين التي تنتقل إلي فوراً؛ مما يساعدني على التعبير نيابة عنهم،

وكأنني ألسنتهم التي يتحدثون بها، ليشعروا بأنني أشاركهم أفكارهم وأحس بمشاعرهم، وأنقل ذلك عن طريق قلمي الذي تحمله أناملي، وتخط تفاصيلها نيابة عنهم، فالحياة جميلة على الرغم ما فيها من أشكال المعاناة، وما يمر بنا من أحداث كثيرة نعايشها ويصعب علينا نسيانها أو الاحتفاظ بها بين ضلوعنا فقط.

ليلى أحمد عناني

obeikandl.com

إنها أشجع من إناس كثيرين في العالم، فهي قادمة إلى بلد تخشى الموت فوق أرضه!! وأي شجاعة تلك التي أتت بها مرة أخرى؟

قادمة من نيويورك!!

التقيتها في مطار جدة سيدة أمريكية قادمة من نيويورك ومتوجهة إلى الرياض، جلست بجانبي بعدما رأيتها تطوف مطار جدة جيئةً وذهاباً، كانت نظرات الخوف والحزن تملأ عينيها، وتراها تنظر في أحداق كل من تقع عليه نظراتها.. سألتني عن موعد إقلاع الطائرة المتوجهة إلى الرياض فأجبتها، حيث كنت بدوري ذاهبة على الرحلة نفسها سألتني وهي تبعد وجهها لعلها تخفي دموعها عني: ما مصير الرهينة الأمريكي؟ أجبتها بأنني لم أتابع أخبار اليوم حيث كنت في عجلة من أمري ولم يسمح وقتي بذلك .. ذهبت وابتعت جريدتين عربية لي وأخرى إنجليزية أهديتها إياها، وتلقفتها مني بلهفة وأخذت تقلب صفحاتها ولكنها لم تجد ما تريده مما زادها اضطراباً وضيقاً، واصلت حديثها قائلة: عند ظهور هذه الجريدة في الصباح لم تكن مهلة المختطفين قد انتهت بعد.

أما الآن " هزت رأسها ذا الشعر الذهبي وقالت بصوت خافت: عند وصولي سأتابع نشرة الأخبار، ثم استرسلت: إن الحياة ستصبح أجمل عند زحزحة جورج بوش عن الحكم! وبتلقائية مني أجبتها : لقد كانت أمريكا عظيمة قبل توليه حكم

الدمار على العالم!! احمر وجهها كدراً وقالت: لا تزال أمريكا عظيمة! أردت أن أقول: "متى قبل فضائح سجن أبو غريب أم بعده" ولكنني آثرت الصمت ثم استَرسلَت قائلة: ولكن حاكمها هو الذي فعل بها هذا... سكت ولم أرغب في قول شيء "فقد شهد شاهد من أهلها".

ركبنا الباص للتوجه إلى الطائرة بعد تأخير امتد لأكثر من ساعة كعادة خطوطنا دائماً، وعلى الرغم من العدد المهول من المسافرين منه وإليه يومياً لا يزال المطار في طوره الأول من التطوير، فكلما سافرت منه وإليه وعند صعودي للطائرة أتذكر أغنية الراحل طلال مداح "في سلم الطائرة بكيت غصباً بكيت" وأتخيله يبكي على السلم الذي انقرض في أغلب العواصم الكبيرة في مدن العالم.

أخذت تنظر إلى الركاب ثم قالت بتعجب: برود شديد يحيط بالناس هنا! ألا ينزعجون من الأحداث الجارية من تفجير وتقتيل؟ آثرت الصمت ثانية لفترة أخرى وكيف يمكنني إفهامها أن الحياة بيد الله وأن لكل أجل كتاب، وماذا يفعل الفلسطينيون والعراقيون والأفغان وغيرهم من المسلمين المضطهدين في بلادهم؟ لم يعد للخوف مكان في قلوبهم، فإيمانهم بالله يدعمهم في دنيا زائلة سيستقرون بعدها في دار الحق، وماذا يمكن للناس هنا فعله والمسؤولون يعملون بجد لمحاربة الإرهاب.

ثم قالت: أعرف أن الإسلام لا يقر ما يحدث " بالطبع أيدتها وأكدت أن كل الديانات لا تقر ما يحدث" وما هؤلاء إلا

مارقين على الحياة متخلفين يائسين لا يفهمون إلا الإحباط والشر الذي قاد عقولهم الفارغة للسير وراء الشيطان متبعين سياسة "شارونية".

قلت في نفسي .. إنها أشجع من إناس كثيرين في العالم؛ فهي قادمة إلى بلد تخشى الموت فوق أرضه!! وأي شجاعة تلك التي أتت بها مرة أخرى؟ أمن أجل الأمن الذي عاشته هنا وعرفته، أم من أجل لقمة العيش التي ذاقت طعمها؟ إذاً لقمة العيش هنا أفضل وألذ بدليل عيشها هنا سبع سنوات تكاد أن تصل إلى عقد من الزمن.. وآثرت الصمت ثالثاً واكتفيت بابتسامة رسمتها على شفتي لعلها تزيل بعضاً من التوتر وتدخل الهدوء على نفسها، فهي ضيفتي وهي في بلدي وتعمل من أجل تمريض أهلي وعشيرتي. وافترقنا داخل الطائرة صعدت أنا إلى الأفق وتركتها تتجه إلى مقعدها تتلقف رأسها أسئلة من الصعب سماعها وبالتالي إجابتها عليها.

وصلنا إلى الرياض آمنين ولم تتفجر الطائرة بنا كما قالت، فلا زال في العمر بقية ولكن... كانت الرهينة قد قتلت، والمختطفين وراءه نالوا جزاء فعلهم المشين، فتحية لرجالنا الأبطال، وعزاؤنا لأسر شهداء الواجب، وحمى الله بلادنا وبلاد المسلمين من كل شر.

فكيف بمن هو مكلف بأن يسجل من على يميننا وشمالنا كل ما تلفظ به ألسنتنا ! كم من الصفحات سيكون عددها وإلى أين سيكون بسببها مصيرنا !؟

أنا لست رقيباً أو عتيداً !!

أنا لست رقيباً أو عتيداً، يا من آثرت الصمت أمامي، أنا أنامل تحمل قلماً ينبض معاني لينير بها بعضاً من طريق.

فوحي قلمي يستقي إبداعاته من خبراتي وخبراتك وخبرات الآخرين، التي تكون في كثير من الأحيان ذات أهمية لكثيرين منا، لذا أنقلها بعيدة عن صاحبها، فقد أخذ حظه من التجربة، فنحن والأحداث والتجارب ضوء يوجه الجميع لتجارب مفيدة يمكن السير على نهجها، أو إغلاط يمكن تصحيحها.

تغلبني أفكاري وكثيراً ما تنتصر علي؛ فوحي قلمي يداهمني بغير تحكم مني ودون استئذان، ولكن في كل الحالات أنا لست رقيباً أو عتيداً، ولست آلة تسجيل تحفظ كل ما يلفظ حولها، بل تعلق بذهني الأحداث وتدعوني لنشرها.

بما أن وقتي لا يسمح لي بممارسة كل ما أرغب فيه من أعمال"غير الكتابة"، أعرت صديقة لي ذات يوم مسجلاً صغيراً كي تسجل حواراً هادفاً رداً على أسئلة وضعتها لها لأنشرها بدوري كي يستفيد القارئ منها. وفي وقت فراغي مساءً بدأت تفريغ الشريط "أي نقله على الورق بعد وضع السماعات في أذني والكتابة فوراً".

لا أستطيع وصف صعوبة ذلك علي حينئذ، حيث وجدت في أثناء الحديث كلمات لم تكتمل .. وأحاديث أقحمت نفسها خارجة عن الموضوع المحدد.. وكان من الصعب فهم بعض من الجمل والكلمات التي كانت تلوكها بين أسنانها وكأنها علكة لا تدري على أي ضرس ستُعجن! وكثير من الأمثلة اكتشفت خلالها أعجب العجائب، ناهيك عن عدد الصفحات الناتجة عن تفريغ شريط مدتة أقل من ساعة زمنية واحدة، عدد لا يصدقه المتكلم نفسه؟ وقد استأذنتها في كتابة تجربتي تلك وسمحت لي، وعلى الرغم من ذلك لم أذكر اسمها كي أكون أكرم منها!

فكيف لمن هو مكلفٌ بأن يسجل من على يميننا وشمالنا كل ما تلفظ به ألسنتنا! كم من الصفحات سيكون عددها وإلى أين سيكون بسببها مصيرنا؟ ولذلك لا يمكنني بالفعل أن أكون رقيباً أو عتيداً، بل بقلمي أردت مكسباً يحيي غيري كما يحييني ويسعدني.

ولا بأس بأن يصمت أمامي من أراد ! متخذاً شعر الكناني شعاراً له في قوله:

استر العي ما استطعت بصمت ... إن في الصمت راحة للصموت

واجعل الصمت إن عييت جواباً ... رب قول جوابه في السكوت

وأول مرة يدخل التشاؤم في نفسي، وقصص من الذاكرة شاركت في عرض ما يمكن به أن يجمد الدم في عروقي، وعرقي كاد أن يصبح مطرا !!

أنا وحذائي وحظي!!

كلما خرجت أو دخلت لسكني المتواضع في العمارة الصغيرة، أنظر إلى الفيلا الأنيقة التي يسكنها جاري.. تلك الفيلا التي تملكها وغيرها إحدى المستشفيات المعروفة، والتي تُسكِنُ بها العاملين من أطباء واستشاريين.

ولكن لم تشفع لي وظيفتي كطبيب استشاري ولا شهاداتي العالية في أن أحظى بمثلها، وهي السكن المناسب لي ولأفراد عائلتي، رضيت بواقع لا مفر منه وبالشقة الصغيرة التي حرمتنا من استضافة أهم عنصر من أفراد العائلة وهي مدبرة المنزل ومديرته التي تجعلنا نذوق طعم الراحة «الخادمة المصونة».

وساعدنا أصدقاؤنا وضيوفنا للقيام بزياراتنا لهم عند (طفشنا) من شقتنا الصغيرة. ثم نعود بعدها كما تعود ربما لعادتها القديمة.. وفي فجر ذات يوم وبعد أن أديت صلاة الفجر في المسجد القريب قفلت راجعاً لمنزلي ودخلت المصعد الذي بالكاد يتسع لي مع شخص آخر نحيف.. وما كدت أضغط على زر المصعد حتى انطلق وتوقف فجأة ودون إنذار مسبق!! انتابني الرعب فلم يكن هناك أي منفذ لتجديد الهواء فلا مروحة فيه ولا ساكن في العمارة أسمع خطوات حذائه لأطلب النجدة بعد ما

أعيتني الحيل في الاتصال بموظف الأمن المسؤول الذي لم يرد على الهاتف المعد لإنقاذ ضحايا المصاعد، سلمت أمري إلى الله وأخذت أحاول فتح باب المصعد لإدخال بعض الهواء قبل أن أختنق من شدة الحر، ولم يكن أمامي غير حذائي الذي رشحته لوضعه بين فتحتي الباب لكي يمنع انغلاقه. ونجحت ولكن بعد بعض الإصابات في أصابع يداي ولم أكد أنتهي من ذلك حتى رأيت قطة سوداء ظهرت فجأة وأخذت تنهش في حذائي معتقدة بأنه شريحة لحم. أخذت أبعدها ودخلت معركة جذب مني ومن القطة من خلال الفتحة الصغيرة لمرور الأكسجين، أخافني منظرها جداً وتخيلتها شيطاناً يريد قتلي، حيث إنه لا يخفى على الكثيرين منا ماذا تعني القطة السوداء؟! تملكني شعور غريب ولأول مرة يدخل التشاؤم في نفسي، وقصص من الذاكرة شاركت في عرض ما يمكن به أن يجمِّد الدم في عروقي، وعرقي كاد أن يصبح مطراً.

وشعرت بالراحة فجأة عند سماعي لخطوات أحد الجيران وهو يصطحب أبناءه للمدارس، وأخذت أصيح لطلب النجدة وأدق الباب بقوة حتى جاء الفرج على يديه ونزعت فردة حذائي من أحضان المصعد بعد أن كادت تلتهمها القطة.

واكتشفت أن موظف الأمن المسؤول كان يغط في نوم عميق، ليتمكن من أداء عمله الآخر من أجل إمكانية الصرف على زوجتين وعدد من الأطفال. بعد تلك الحادثة طلبت تغيير مسكني

لفيلا مثل فيلة الدكتور فلان، وإذا بي أفاجأ بأن فلاناً ليس بدكتور بل سائق في المستشفى نال الفيلا عن طريق الواسطة، والتي أفتقدها أنا، فشهاداتي لديهم مجرد حبر على ورق، وليست بطاقة مرور لنيل فيلا واسعة. لم أجد أمامي غير الرحيل وقدمت استقالتي غير نادم.

obeikandl.com

ما الذي زج به خلف القضبان؟ لا يتخيل من يراه بأنه يمكن أن يؤذي ذبابة، لم يجرؤ أحد على سؤاله عما جنته يداه، فحراسه يصنعون سدا حوله يمنع الاقتراب منه!

عيون خلف القضبان!!

جاء السجين مكبلاً بقيوده يراجع طبيبه في مستشفى كبير، يقوم بحراسته ثلاثة جنود مسلحين.. لا يشعرون بأنه خلف قضبان المرض يعاني، زادت معاناته من الخزي والخجل وهو يسير والحديد يحيط بمعصميه، تتدلى سلاسله لتشبك معها رجليه! كانت كل العيون تنظر إليه.. تساؤلات وتساؤلات تحيط به وتضعه في سجن آخر قضبانه عيون الناس.

ركضت نحوه إحدى الممرضات حاملة ملاءة بيضاء رمتها فوقه لتستره بعد أن وضعه زميلها فوق مقعد متحرك كي تخفي قيوده عمن لم يره، سألت نفسي: كيف لها أن تخفي حراسه الذين يسيرون حوله ويحيطونه في موكب لا تخطئه عين.. فهو سجين وتلك قيوده تثقل بها يداه ورجلاه وإن اختفت تحت ملاءة بيضاء.

كان يحني رأسه، وعيونه تختلس النظر لمن حوله، كانت نظراته زائغة، يحاول تجاهل عيوناً، وعيون تنظر إليه، شحوب وجهه الأسمر وبروز عظام وجهه تحكي ما يعانيه جسده الهزيل! ما الذي زج به خلف القضبان؟ لا يتخيل من يراه أنه يمكن أن يؤذي ذبابة، لم يجرؤ أحد على سؤاله عما جنته يداه؛ فحراسه

يصنعون سداً حوله يمنع الاقتراب منه! تساؤلات كثيرة تدور في كل الرؤوس، ولكن اكتفى الجميع بتخمين ما يحلو لهم من قصص وحكايات، فمنهم من اعتقد أنه قاتل شرير أو إرهابي جبار! ولكن تاريخه المرضي ينفي كل التوقعات، فما هي جريمته يا ترى التي يدفع ثمنها غالياً؟.

لم يفكر في يوم جاء وانتهكت فيه صحته بسبب مرض عضال، جلس مستسلماً ينتظر حتى أخليت له غرفة بعيدة عن العيون.

شاب في أواخر العشرينيات لم يضع مستقبله فقط، بل ضاعت حياته أيضاً كشباب كثيرين لا يحسبون لخطواتهم أي حساب قبل أن يقدموا على السير في طريق يقود بهم إلى السجن إن لم يكن إلى الهلاك.

كانت حسرات من رآه من النساء والرجال كوحش كاسر ينهش قلوبهم بقسوة، حسرة على ضياع شباب كالورود، وسيرهم في طريق الغواية متبعين أصحاب السوء، ماذا قاد به إلى ما وراء القضبان، لم يعد يهم الجواب؛ فهذه حقيقة نراها جميعاً أمامنا، لعله يكون عبرة لغيره من الشباب قبل أن ينحرفوا عن طريق الحرية إلى ما خلف القضبان.

وعزاؤنا لهذا الشاب هو كلام رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا**».

ويتكلم عقلك في حضورك دائما وله طرق في إسماعك صوت نفسك، ويواصل مهمته ولكن بصوت لن يسمعه غيرك، وهو صوت الضمير!!

كلام في كلام

هل تأملنا يوماً لغة الكلام؟ هل أنصتنا كي نسمع أصداء أصوتنا في خلاء تكسوه الجبال؟ ألم تلاحظ أنك لا تتوقف عن الكلام ولو لدقيقة واحدة إلا خلال نومك وليس كل وقت النوم. هل تدري كيف..؟ ففي نومك تتسلم أحلامك المهمة، وتأخذك لعوالم من الخيال تطوف بك بلاداً وتغوص معك في قاع بحار، وربما تجمعك بمن حلمت من الشخصيات؛ لتبدأ حواراً وكأنك في صحو، أو تحاول قول شيء لم تجرؤ على قوله وجهاً لوجه لمن تسبب في أذيتك، أو لشخص تمنيت أن تقول له ما لم تجرؤ عليه في مواجهة معه، أو ترى من أحببت وإن اختفى عن عينك شهوراً وأعواماً، أو تجلس وسط حديقة تتحدث مع الحيوانات أو الطيور أو حتى الأشجار.

ويتكلم لسانك منفرداً أو في حضور غيرك من الناس.. ويتكلم عقلك في حضورك دائماً، وله طرق في إسماعك صوت نفسك، ويواصل مهمته ولكن بصوت لن يسمعه غيرك؛ وهو صوت الضمير، وإذا توقفت عن التفكير يتكلم قلبك بخفقات دقاته ليثبت في أعماقه من أحببت، أو يلغي من كرهت، وإذا سكت تفكيرك تبدأ عيناك بالمهمة، ولا ننكر لغة العيون، فهي

تفوق في تعبيرها أي لغة، وتنظر للأشياء من حولك وتفسرها وتقرؤها وإن كنت أميّاً!!

كلام في كلام، وفي أحيان كثيرة تهرب ممن حولك وأنت تريد الاختلاء بنفسك والهدوء خاصة عندما تسمع صراخ صغارك ومعاندة الكبار منهم، وتمسك بكتاب وتفتح صفحاته، ولكنك تقرأ بهدوء؛ أي تكرر ما طبع على الورق بعينيك ليستوعبه عقلك. أو تسترجع حديثاً أثر فيك واستقر في مخيلتك.. كل هذا كلام في كلام.

فهل تعتقد أنك تستطيع الصمت ولو لدقيقة!! ربما تعتقد ذلك خصوصاً عندما لا يسمعك الآخرون، ولكنك في الحقيقة تتحدث وستظل تتحدث لحين إشعار آخر سيعلمه الآخرون ولكن في غيابك!.

obeikandl.com

ولكن تلك أخلاقيات خارج النوايا الحسنة لا يمكن تعديلها خارجيا من قبل الآخرين، بل يأتي التعديل من أعماق صاحبها ومن منطلق أخلاقياته التي تميز الرجال من أشباههم!!

أخلاقيات خارج النوايا الحسنة !

بدأ يقذف بلسانه ما جادت به قريحته، فقد شارك خياله في نسج قصة ابتدعها عقله.. بالرغم من الزحام الشديد الذي يراه كانت عيناه تلتقط أي حدث ليبدأ بإطلاق قذائفه الجارحة، وقد شارك خياله في تجسيم أحداث من واقع أوهامه.

تكدس الرجال على نافذة الصيدلية؛ مما جعل المريضة تقرع باب الصيدلية لتتسلم دواءها الذي أعطت وصفته للصيدلاني يوماً قبل حضورها؛ فالدواء يستدعي تحضيره وقتاً طويلاً.

خرج الصيدلي من مكانه ليسألها عن رقم الوصفة لتسليمها الدواء بعيداً عن ازدحام الرجال حفاظاً عليها، كي يحضره وليشرح لها كيفية استعماله. وكأنه ضغط على زر القذائف النابية التي بها أطلق أحد الذين كانوا ينتظرون تسلم أدويته سهامه المسمومة لسب الفتاة المريضة والصيدلي الذي وقف مذهولاً من التهم الموجهة إليه على مرأى من الجميع، وقام أحدهم بالتبرع كذلك لمده بالعون والقذف العلني دون وجه حق وحوَّل معنى سؤال الصيدلي عن رقم وصفتها التي أعطاها بالأمس إلى أنه يطلب رقم تليفونها!! ونسي أن كل شخص يتقدم لأخذ الدواء يتسلم رقماً تسلسلياً مكرراً من نسختين، يرفق إحداها مع الوصفة الأخرى

يأخذها المريض أو مرافقه لحين تجهيز دوائه كي ينادي على صاحب الرقم لاستلامه؛ تسهيلاً على الجميع من التفوه بأسماء تكاد تكون متشابهة أحياناً. . وبعد وقت طويل من محاولة بعض الناس لتهدئة ذاك المرافق وتوضيح خطئه الذي تمادى فيه قام الصيدلي بتبليغ السلطات في محضر رسمي عن القذف العلني، وبدأ التحقيق يأخذ مجراه الذي يحق سجن وجلد الرجل على قذفه العلني للأبرياء؛ كي ينال جزاء تعديه على أعراض الناس.

ألا تدفع أخلاقيات الرجولة الحقة إلى احترام الآخرين ووضع قيود على الألسن السليطة التي بها يؤذون الأبرياء؟ فبدلاً من أن يشكر في نفسه على الأقل فعل الصيدلي بحماية المريضة من الزحام واحترامه لتصرفه الشهم؛ ويعتبر أن ابنته أو أخته أو أحد محارمه في مكان المريضة نفسه.. ولكن تلك أخلاقيات خارج النوايا الحسنة لا يمكن تعديلها خارجياً من قبل الآخرين، بل يأتي التعديل من أعماق صاحبها ومن منطلق أخلاقياته التي تميز الرجال من أشباههم الذين هم غير مبالين بما تترتب عليه أفعالهم تلك، ومدى وقع تأثيرها السلبي على المجتمع؟ لن نفلح حتى نصلح من أنفسنا التي إذا احترمناها سنحترم الآخرين، وصدق الشاعر حين قال:

عود لسانك قول الخير تحظ به ... إن اللسان لما عودت معتاد

موكل يتقاضى ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف ترتاد

ويأتي المساء، وتغرب الشمس في الأفق، ويختفي القوس خلف الظلام، وتهدأ الطيور في أعشاشها، وتسكن الأسماك في أعماق بحرها، أما أمواجه فلا تهدأ ولن تهدأ !!

هدير وألحان !!

أمسكت بقلمي الذي لم يرد مني غير أن أضعه فوق صفحة بيضاء خالية، ليكتب بمداده أجمل كلمات وأعذب معان يمكن أن يخطها قلم على ورق لمنظر ساحر، وعندما بدأ المسير، جاء صوت أمواج البحر وهي تعزف أعذب الألحان التي لا يستطيع كائن حي إحياءها إلا بقوة خالقها!! كانت توحي لمن يسمعها بمدى ما يخبئ ذلك البحر في أعماقه من أسرار، فهو يشبه ليلاً طويلاً وغداً مجهولاً يأمل منتظره في تفاؤل إشراقة أمل، تضيء لحظات يأس يعيشها، غير مستسلم لهاجس يحطم قلباً، ولا يريد غير ضوء يرشده لما يحتوي عليه البحر في حالاته المتقلبة، ونسجت أشعة الشمس خيوطها الذهبية لتضيء بنورها الساطع سطح بحر لا يهدأ، لتبث فيه الحياة، أتت أمواجه مسرعة لترتمي في أحضان الشاطئ الذي يقف دائماً في انتظارها، فيضمها في حنان بالغ، ثم يتركها لتنساب في استسلام من بين أحضانه بهدوء، تاركة فرصة لأمواج كثيرة قادمة من بعيد على عجل، لاجتراع ضمة حنان هي إليها ظمأى!!

فتجدها تزأر من بعيد، بصوت ينبعث بقوة لينبه بقدومها كي يفسح لها لترتمي بدورها ناثرة ذلك الزبد الفضي، ليرسم لوحته

الثائرة فوق الرمال للحظات، وتنذر بقدوم أخرى تليها، وهكذا تجد حلقاتها الفضية تلتف لتعانق الشاطئ الهادئ الجميل.

شاطئ يملك صبراً لا ينفد، وتهرب من بين أحضانه وقتما تشاء، عائدة إلى بحرها العميق الذي يظل في استقبالها دائماً ودون ملل، ومياهه الزرقاء الصافية تعكس زرقة السماء على صفحاته، وتأبى ألوان الطيف إلا أن تشارك في رسم لوحة في السماء بخطوطها البديعة، فانحنت تغطس طرفيها في مياهه ليطلق (كيوبيد) سهامه لتصيب أهدافها في قلوب عشاق الجمال الإلهي، مع محاولتها لضم البحر بكل ما يحتوي عليه من كنوز وأسرار ليأثر بها نفسه طمعاً بذلك الجمال الخلاب، ولكنه يعجز عن ذلك، فيكتفي بأن يترك طرفي قوسه لينغمس في مياهه للتزود بمداد لا ينضب، من بحر عميق عميق، ويمتص رذاذاً يزيده رونقاً وجمالاً، وترى الطيور تحلق في الفضاء متجهة إليه، في محاولة للوصول إليه كي تقف فوق أوتاره لتغرد سعادة به، وتأخذ في الطيران بعيداً، ثم تقفل راجعة بعد أن تسمع هدير الأمواج، التي تحاول بدورها تنبيهها باستحالة الوصول إليه؛ فهو وهمي، في سمائه غير ملموس، بل لتراه العيون فقط، وهو يعكس ألوان طيف كاسمه في فضاء شاسع، يحيط ببحور وجبال وبساتين مليئة بأشجار وزهور زاهية الألوان.

ظهرت سحابة تحملها رياح تأتي بها في تأن وهي تتجول في الفضاء وكأنها أميرة السماء، غارت من شاطئ في أعماقه نبع

من حنان، نظرت من علو ثم نثرت رذاذها لتحيي أمواج البحر وهي في طريقها تتبختر في خيلاء هاربة من ألوان الطيف قبل أن تمتص مياهها، قبل أن توصلها لبر الأمان.

ويأتي المساء، وتغرب الشمس في الأفق، ويختفي القوس خلف الظلام، وتهدأ الطيور في أعشاشها، وتسكن الأسماك في أعماق بحرها، أما أمواجه فلا تهدأ ولن تهدأ.

obeikandl.com

انظروا إلى منظر الشمس وقت المغيب ! ستجدونها تسرع في الاختفاء على أمل الظهور في يوم جديد لتبعث الأمل والتفاؤل لزهرة تتفتح فوق غصن يحملها سعيدا بها ! ولعالم يريد بدء يوم جديد في حياته!!

لتنظروا بعيني!!

سماء سوداء ترصعها نجوم تظهر للرائي كالماس واللآلئ، ودونها تجد السحب الكثيفة التي تشبه جبالاً من القطن، يظهر من خلفها بريق يضيئها ويظهر رسمها وحجمها ! فتجدُ خطوطاً تحدد ارتفاعاتها وانحداراتها، ويظهر بعضها كالثلج ناصع البياض، وبعضها رمادي بين الأسود والأبيض بدرجات لا تضعها غير يد خالق مبدع جبار.

سحب في سماء سوداء، تنهال عليها طلقات البرق بين حين وآخر، تجذب العين فلا تريد العين أن ترمش خوفاً من أن يفوتها منظر من النادر رؤيته من الأرض، وقمر مضيء يستعين بالبرق الخاطف في رسم لوحة تملأ صفحة السماء السوداء فتجملها للحظات، ثم تختفي لفترة كي تترك القمر مع نجمته يناجيها وينيرها بالأمل الذي لا ينقطع رجاؤه بالتمسك به!! فما قيمة الحياة بدون الأمل؟

الأمل هو الحياة، فلننظر إلى تلك الصورة التي أحاول بكلماتي البسيطة التي أعجز فيها عن تصوير روعة مشهد من النادر التقاطه من نافذة الطائرة، مرت دقائق تمنيتها ساعات، ومرت دقائق تخيلتها دهراً بأكمله!؟ انطبعت في خيالي إلى الأبد، تمنيت أن يراها العالم كله معي ولكن بعيني أنا!.

نقلتني إلى التفكر في الجمال الحقيقي الذي يمكن أن يرسم بريشة مبدع خلق العالم بأسره! كم من أماكن في هذه الكرة أو هذا الكوكب الذي نعيش فيه، تعبر عن الجمال الحقيقي المحيط بنا ! فكل ما في هذا الكون جميل، فلتنظروا بعيني لتروا! انظروا إلى منظر الشمس وقت المغيب! ستجدونها تسرع في الاختفاء على أمل الظهور في يوم جديد لتبعث الأمل والتفاؤل لزهرة تتفتح فوق غصن يحملها سعيداً بها! ولعالم يريد بدء يوم جديد في حياته! انظروا إلى طير يكمن في عشه ينتظر الإذن بالطيران بعد سماح الشمس له ليبدأ رحلته، التي سيغرد فيها لينشر البهجة في قلوب حنونة تفهم لغته!! انظروا إلى سمكة في بحر عميق تفهم من أسرار الجمال ما يخفى على من لا يغوص في أعماق بحرها وعالمها! ولكن لتنظروا بعيني!.

انظروا إلى قطرة ندى تحتضنها ورقة الورد التي تغنى بها العشاق كم تظهر فيها روعة الجمال! ولكن لتنظروا بعيني.

انظروا إلى مريض يملؤه الأمل ويقاوم مرضاً يعتقد كثيرون أنه لا يقاوم؛ فتجده يتغلب عليه وينتصر ويبدأ حياة جديدة ليرى بها جمالاً حوله لم يره من قبل، وانظروا إلى جمال الأمل نابعاً من أعماق قلبه منطبعاً في عينيه، ممتناً لمن أمده بذلك الجمال والقوة الداخلية للمقاومة ! ولكن.. لتنظروا بعيني!!.

وقد صدق الشاعر عندما قال:

عرفت بك الله بعد الضلال فدل البديع على المبدع

وسنظل نحفظ ذاتنا في دواخلنا ونغلق عليها بأقفال مفاتيحها وهمية، لأننا نعيش كثيرا في فترات حياتنا في وهم

هروب وقيود!!

لحظات هروب نحاولها في مواقف كثيرة تمر بنا، فإذا بنا ننجو مرة ونخفق مرات! ولا نيأس من تكرار التجربة! ليست تلك شجاعة منا، بل ضعف مغلف بقوة تظهر للجميع.

لقد حكم علينا النصيب أن نصادف في خلال حياتنا كثيراً من الذين نتمنى ألا نفترق عنهم ولو لثوان قليلة !! ولا يضطرنا إلى ذلك إلا الشديد القوي بالفعل.. هذا بالنسبة إلى خصوصياتنا ! أما بالنسبة إلى الحياة التي كبرنا عليها وترعرعنا في سنينها طالت أم قصرت، فهي التي تحمل في طياتها شداً ومداً، جذباً ورخياً، فراً وكراً، حزناً وفرحاً.. وتعلمنا أن نخبئ بين جوانحنا ما نخشى أن تفضحنا به تصرفاتنا، وما نسميه التزاماً، إذا لم يكن نحو أنفسنا بكل تأكيد فسيكون نحو مجتمعنا، والقيود التي تحيط بمعصمينا تحد فقط من انطلاقاتنا، خوفاً من عواقب يحتمل حدوثها! إذاً هي تحد من تهوراتنا في مواقف عديدة نمر بها، ونحن من أراد وضع هذه القيود خوفاً من لحظة ندم تلتصق بأعماق ذاكرتنا وتظهر لمخيلتنا في مواقف تستجلبها عنوة ودون رضانا، لتظهرها على شاشات أعيننا لنراها كما نشعر بها!! فبدلاً من أن تؤلم ذاكراتنا فقط تؤلم أعيننا كذلك، ولا يمكن

محوها مهما فعلنا ومهما أغمضنا أعيننا؛ فستظل هناك تفرض نفسها سواء رضينا أم أبينا.. فلماذا إذن نلوم الهروب وهو الذي يُذيقنا الطعم الحقيقي للحياة التي نحياها؟ وهذه نواميسُها الطبيعية، وسنظل نحفظ ذاتنا في دواخلنا ونغلق عليها بأقفال مفاتيحها وهمية؛ لأننا نعيش كثيراً في فترات حياتنا في وهم ونقنع أنفسنا به ونسعد، ولكن بطرق تروقنا، ولا تؤذينا، وقد صدق الشاعر عندما قال:

صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها فالصفو ليس على المدى بمتاح

وقال آخر:

سبحان ربك كيف يلتذ امرؤ بالعيش وهو بنفسه مطلوب

obeikandl.com

اتجهت مسرعة إلى الباب وفي عينيها إصرار غريب.. ترى أي تجربة تريد خوضها؟ لا تدريت؟!

أين النهاية؟!

تتبعت بنظراتها قطرات الماء التي رأتها تتكون على حافة النافذة.. تلك النافذة التي تصنع إطاراً لمنظر خلاب، لجبال خضراء تقف من بعيد تنظر إلى البحر، الذي لا يستطيع البصر الوصول إلى نهايته.

ترى أين النهاية؟ أتكون في قطرات الماء المتجمعة على حافة النافذة، أم في هذا البحر الهائج، الذي تأتي أمواجه مدفوعة برياح قوية تنقلها من بعيد، وتلقي بها على شاطئ ليس له رمال تمتص غضبه، بل صخور تجبرها على الخضوع والتكسر على حوافها الملساء، تتحدى الموج بنعومتها، فهي تخفي في طياتها قوة جبارة، تخضعها للاستسلام، فكما أتت بها الرياح مجبرة، تحدته الصخور بالتراجع قبل الوصول إليها.

دمعة ترقرقت في مقلتيها وانحدرت ولكن ليس على حافة النافذة بل على حافة شفتين ترتسم الابتسامة الدائمة عليهما، تبللهما بدموع تقطر حزناً ممزوجاً بألم..

بظهر يديها جففت ما تبقى من دمع كان يملأ عينيها، كان مستعداً أن ينهمر ليشارك وجدانها في التعبير عن تعاطفه معها.

ليت يديها ما اقتربت من عينيها، فدموعها تحرقها، وتريد الفرار من سجن قيدها سنين داخل بركان يثور في أعماقها، أما آن الأوان أن ينفجر ويخرج حممه التي تكويها ليستريح قلبها ولو قليلاً؟

لم تجد جواباً يقنعها، التقطت شالها الصوفي الذي سقط من فوق كتفيها والتحفت به، اتجهت مسرعة إلى الباب وفي عينيها إصرار غريب.. ترى أي تجربة تريد خوضها؟ لا تدري.

نزلت الدرج وكأنها تلبي نداء أتاها من بعيد، سارت في اتجاه البحر بمحاذاة الجبل، ما هي إلا دقائق حتى وجدت نفسها وجهاً لوجه مع رذاذ الموج الذي استقبلها بالأحضان، غمر الماء وجهها بل غمرها كلها وجعلها تفيق على حقيقة ما كانت لتكشفها وهي تحدق في النافذة متتبعة قطرات الماء.. ها هي تقف على حقيقة الحب الذي يملأ قلبها والذي به تستطيع أن تغمر به كل مخلوقات الأرض!! إذاً الرضا بحب انتهى، وأشعرها بإنسانيتها، دائماً يغنيها عن كل حرمان.. في هذه البقعة التي أعادت نبضات قلب اعتقدت أنه توقف عن الخفقان. لا ليست هذه هي النهاية، بل البداية.

وتترك الأم المسكينة لتواجه مصيرها وكأنها في غابة مليئة بكائنات مفترسة لا يحكمها قانون!!

شكراً أيها الطبيب!!

كانت .. ترتجف إرهاقاً، ترتجف مواجع وهموم، كانت دموعها تغسل الطريق أمامها، مأزق تمر به ككثيرات من بنات جنسها، فكونها زوجة تقع تحت زوج لا يرحم وكأنه لم يولد من رحم امرأة، أبعد كل المحيطين عنها ونسوا واجبهم تجاهها، وقفوا متفرجين يريدون وجود محرمها كي يسمح لهم بمساعدتها!!

ذلك المحرم الذي لو حاولت وصفه بصخر لصدقت، ولو وصفته بميت لصدقت! أين الإنصاف أين اليد المكلفة بتلك المساعدة؟! هل هي مُكلفة بالتفرج من بعيد على نساء يعانين من ظلم شياطين يطلق عليهم أزواج يتفننون في إتعاسهن؟ عذبها ولدها وكاد أن يقتلها، صبغ جدران غرفته بالصلصة الحمراء المعبرة عن لون الدم، وصل إلى مرحلة العطش الدموي ولم يجد أمامه غير أمه التي كانت دائماً تستغيث بالشرطة لمساعدتها على تقويم ولدها بعد أن يئست من مساعدة أب لا يهتم بحالته أو يعرضه على طبيب يعالجه، بل كان يطلق نظراته إلى ولده كمنوم مغناطيسي ليسيرها بإشارات تتجه لأمه، لتنطلق كشرارة تقع على بئر بنزين فتشعله، وتفجرها بدويٍّ يهتز له عرش الرحمن!!

بمد يد ولدها ليكيل لها اللكمات والركلات كلما أعطاه أبوه الإشارة، وعلى الرغم من ذلك تأبى الشرطة أن تتدخل، فتوسلات الأم المفزوعة لا تجد صدى لدى رجال الأمن! وتُترك الأم المسكينة لتواجه مصيرها وكأنها في غابة مليئة بكائنات مفترسة لا يحكمها قانون، وتستمر في البحث عن «معتصماه» الذي سيحقق لها سعادة تاهت على أبواب منزل الزوجية! بل كان عليها أن تتحمل مصيرها منفردة فهذا قضاؤها وقدرها!.

ووجدت الأم الضحية نفسها تنزلق في هاوية اليأس، لا تدري كيف ساقتها خطواتها إليك أيها الطبيب؟ لا تدري كيف نطق أحدهم باسمك فكنت أنت المنقذ الذي قذف بنفسه داخل فوهة البركان الذي كاد أن يذيب ما تبقى لها من تحمل، فقد كان ذلك البركان في مشاعرها يكويها بنيرانه المستعرة، بمرور سنين عيشها مع ذلك الزوج!.

أتيت فقلبت حممه إلى سحابة تحمل الغيث، وأطفأت نيرانه المشتعلة، و طوقتها بإرشادك وأخرجتها من ظلمات اليأس القاتل، و أنقذتها قبل أن يدب الموت في أطرافها، جئتها نجدة من رب العالمين، بل تحديت كل العقبات واتبعت نداء الواجب ملبياً للقسم الذي نلت بعده شهادتك الطبية التي قل من يستحقها، فكان تعبيرها النابع من قلب عانى وحيداً وهو وسط الجميع، قلب تعذب ولم يجد يداً حانية تمتد لإنقاذه لتضمد جراحاً كادت تكون مزمنة لو كتب لها الحياة، ولم تُقتل على يد ابنها. لعل هذا النداء

يصل إلى المسؤولين، فيعلموا بما قمت به من عمل تستحق عليه الشكر، وليبعث الأمل في قلوب كثيرة معذبة تتمنى إيجاد حل لهن، هؤلاء الأمهات ضحايا أزواجهن، بل ضحايا المحرم الذي يرتع في ظلمه بمساعدة من نطلق عليهم رجال الأمن، الذين تتمنى كل أم أن يكونوا نجدة للمستغيثين بهم.

ليت كل أم وكل أب يقوم باستشارة طبيب نفسي يساعدهم على حل المشكلة قبل أن تستفحل عندما يجنح فلذات أكبادهم عن طريق الصواب؛ فاستشارة الطبيب النفسي وتقديمه الحلول والعلاج - وهو الذي اعتمدت دراسته على التغلغل في النفس البشرية، وفهم أغوارها - تساعد هؤلاء الذين يعانون من سوء فهم ما يمرون به، كيلا يوجهون توجيهاً خاطئاً ممن لا يحملون في داخلهم إلا روح الانتقام، والذي به يستخدمون فلذات أكبادهم أداة ضد زوجاتهم، بل ضد أبنائهم الذين هم أمانة في أعناقهم، وكيلا يحرمونهم من حياة سوية من حقهم أن يحيوها. فشكراً لك أيها الطبيب الإنسان ولأمثالك من المخلصين.

فمن حقه أن يخفي الأمر عن أهله، إلى حين إيجاد الوقت المناسب للإعتراف!!

خلف ستار المسيار!

احتضنت صورة طفلها ودموعها تنهمر على وجنتيها، فهي تواجه حرباً ليست متكافئة مع من اختارته يوماً زوجاً لها، صوتها الواهن يدمدم بضعف وكأنها تتحدث إلى نفسها: إلهي حرب في كل مكان، هنا وهناك.. فإن استطعت أن أهرب من الحرب التي هناك فكيف لي أن أهرب من الحرب التي بداخلي في رأسي وعقلي؟

وضعت صديقتها كوب الشاي بجانبها فوق طاولة تكدست فوقها كتب ومجلات تحمل أخبار حرب تجري رحاها في بلد مجاور، ربتت على كتفها وبحنان يكاد يكون رجاء موجهاً إليها قالت:

رجاءً أن تكفي عن إنتاج أسلحة تدمرين بها نفسك قبل أن تدمري من دمرك! لست أنت الوحيدة التي خدعها رجل، ولن تكوني الوحيدة التي استغلها رجل، فهناك الكثيرات من أمثالك وقعن في الفخ نفسه، كثير من تلك النماذج يكون الرجل فيها هو الجاني مع سبق الإصرار والترصد، كفكفي دمعك ولنفكر معاً في حل يخرجك مما أنت فيه!!.

لم تجدِ محاولات صديقتها، لم تستطع إخراجها مما تعانيه، لم تستطع غرس الشجاعة فيها لتقوى على آلامها، فآلامها أقوى من أن تمحوها كلمات.

قرار قبولها الزواج منه اتخذته في لحظة اعتقدت فيها بأنه رجل عند كلمته، وبعد أن أظهر فجأة مساوئ زوجته الأولى التي تجسمت أمام عينيه وكأنها كابوس يهدد حياته، ويجب الخلاص منه والهروب لمكان آخر يجلب إليه السعادة ولو في الخفاء، هذا الذي يطلقون عليه الزواج المسيار!!، لم تمانع، فمن حقه أن يخفي الأمر عن أهله إلى حين إيجاد الوقت المناسب للاعتراف بزواجه الثاني كما وعدها، بعد أن يكون قد استجمع بعضاً من شجاعته الهاربة لمواجهة النتائج التي يتوقعها.

وبدأت مرحلة الهروب من الوعد تظهر في كثير من المواقف، أعذار كاذبة، قصص مختلقة بمواقف وهمية، كل ذلك انطلى عليها في البداية حتى جاءت اللحظة التي انكشفت فيها ألاعيبه وظهر مدى استغلاله لها.

وتساءل الكثيرون كيف حدث ذلك، وقال آخرون كيف انطلت حيلة كهذه عليها وهي الذكية الواعية؟ ولماذا وافق أهلها على إخفاء الزوج زواجه الثاني؟.

وكأن هذا النوع من الزواج هو الستار الشرعي لبعض الرجال الذين يخفون وراءه حبهم للنساء ورغبتهم فيهن، بدلاً من اللهث وراء محاولات ممنوعة ومحرمة!! والوعود التي تقدم على أطباق من ذهب للإيقاع بالفريسة المخدوعة، خلف التخفي برداء شجاعة مصطنعة.

وتتساءل العاقلات من النساء هل هذا نوع من الشباك لصيدهن؟ أم أن الزوج المقدام هو نفسه ضحية زوجته الأولى!! ومحاولاته تلك ما هي إلا للهروب فقط من أجل البحث عن السعادة الحقيقية، وليست إنذاراً للزوجة القديمة لاكتشاف فشلها في إبقائه أطول مدة في جنة سعادته معها، سعادة انمحت بالتدريج مع كل طفل يأتي ليأخذ جزءاً من وقتها ويشغلها عنه، فهو يجب أن يكون الأول في حياتها، وعليها استيعاب ذلك وإلا فالزواج الثاني وربما العاشر خلف ستار المسيار!!

obeikandl.com

أين تذهب؟ فليس هناك أب يرحم، ولا أخ يفهم! متمنية أن يأتيها الحل قبل فوات الأوان!!

"تعاسة خلف أبواب مُغلقة"!

يوجد في هذه الحياة ما يندهش له العقل ويفزع منه العاقل! من قصص النساء التعيسات في زمن عميت فيه الأبصار وماتت فيه الضمائر.

فتلك امرأة تعلم بخيانة زوجها لها، ولديها طرق للانتقام منه بطريقتها الخاصة!! وتعلن بأنها ليست نادمة على ذلك، حيث إنها تتخذه قدوتها في الانحلال والانحراف! ألم تقف على حدوده المبادئ التي تراه يتخذها في حياته وهو مختف وراءها بقناع يتكشف أحياناً ليكشف معه قباحته أمام عينيها الباكيتين ليلاً على ما آل اليه مصيرها وحظها التعيس بذلك الزوج المنحرف، نسيت بأنها تنتقم من نفسها هي بدلاً من نيل حريتها والنجاة بدينها.

تتمنى الموت في كل ثانية تمر بها! ولكن أين تذهب؟ فليس هناك أب يرحم، ولا أخ يفهم! متمنية أن يأتيها الحل قبل فوات الأوان، ويطفئ الله نيران قلبها المستعرة بحب الانتقام!. ولكن من نفسها.

وثانية زوجة لرجل بخيل! ليس على نفسه بل عليها وأولادها! على الرغم من ثرائه الفاحش الآتي من تجارته المربحة لشرائط

"الفيديو"؛ فالأفلام هي الشيء الوحيد الذي يسخى به! فيأتي إليها كل يوم بشريط جديد وفيلم جديد كي تشاهده وتتلهى به لعلها تكف عن مطالبته بمصاريف الأسرة التي ترهقه كما يقول دائماً! فالبيت مليء "بلحم وخضار" تكفي قبيلة بأكملها! فماذا تريد أكثر من ذلك؟ وهو يعتقد أنه غير مقصر في شيء! وكأن الحياة أكل في أكل؟ وفي النهاية التحقت بالعمل من أجل تلبية احتياجاتها وعيالها، ولكن راتبها لم يسلم كذلك؟ فهو يأخذه في مقابل أن يعطيها مصروفاً شهرياً لا يجدي معها شيئاً ولا يسد حاجة أبنائه! وكأنها أضافت هماً من نوع آخر لحياتها بعملها الذي تحملت به المسؤوليات عنه! ألم يسمح لها بالعمل؟ فالضريبة غالية تكلفها الكد والتعب في محاولة لإيجاد راحة بالها هناك في عملها بعيدة عنه!!.

وثالثة يأتي إليها زوجها كل مساء ويوقظها من النوم كي تطبخ له ولضيوفه العشاء غير مبال بمسؤوليتها الوظيفية المرهقة، والتي وافق عليها قبل الزواج، فهو يعلم أنه لايستطيع منعها؛ لأن ذلك شرطها الذي سجل في عقد النكاح، وهو لا يحب الأكل من يد الخادمة كما يقول دائماً! فترضخ صاغرة من أجل ألا تضيع خبرتها وشهادتها التي حصلت عليها في حالة استسلامها لضغوط زوجها غير المباشرة في "تطفيشها" من العمل، لتتفرغ له في الساعات القليلة التي يقضيها في منزله، فمكتبه يقضي فيه كل يومه، وما منزله إلا فندقاً يأوي إليه عند المساء!!.

وكان العمل هو متنفسها الوحيد فكيف تضحي به؟

ورابعة قد زوجها أهلها غصباً بعد تعديها سن الزواج لرجل أكبر من أبيها المسن كي لا تفوتها الفرصة الأخيرة التي اعتقدوا بأنها الحل الوحيد لابنتهما! غير مهتمين بنفسيتها المجروحة من تصرفاتهم معها بذلك الزواج الإجباري، وقد وجدت نفسها بين ليلة وضحاها ممرضة لرجل له من العيال من هو أكبر منها عمراً، ولا يملك من حطام الدنيا غيرها، سعيداً بها وبشبابها، معتقداً أن شبابها سيعيد له شباب نفسه وصحته البالية.

انشغل أبناؤه عنه بهموم الحياة وبضعف الحال! استسلمت بيأس مفوضة أمرها إلى الله لعلمها بأن كل شيء مقدر ومكتوب، فلا مفر من الخضوع والرضاء، محتسبة أجرها عند الله! وكان العمل هو المنقذ الوحيد للعيش معه حياة كريمة، تعينها على البقاء بكرامة، وبذلك يكون الهروب الوحيد الذي يعوضها عن الفقر الذي تعيشه بأسلوب أفضل من الطلاق اللعين الذي تكرهه.

وهذه مأساة أكثر من زوجة في هذه الأيام، يرجع زوجها كل ليلة وهو يحتضن قارورة يطلق عليها قارورة "الماء"! بعد أدائه لعمله، وبعد تناوله لغذائه! يأوي إلى فراشه ولايستيقظ إلا عند المساء! فيأخذ مكانه المعتاد أمام شاشة "التلفاز " يضع قارورة "الماء" أمامه وكأساً به ثلج، يصب فيها من تلك القاروره "المجهولة" ويشرب بهدوء غريب يدهش زوجته المسكينة، التي تأخذ عيالها

لفراشهم حتى يستعدوا ليوم دراسي جديد، وذلك بعد أن تقوم بمساعدتهم في دروسهم، وتحضير حقائبهم وملابسهم كعادتها كل يوم، كي تتفرغ لعملها في وقته!

تجلس بجانبه في محاولة لجلب انتباهه إليها لعله يحبها مثل تلك القارورة "قارورة الماء"! ولكن دون جدوى، فلا تجد غير أن تأوي إلى فراشها هي أيضاً بعد تحضير بعض أصناف من الطعام على صينية تضعها أمامه، وتغادر الغرفة بأسى وحسرة على ذلك الحظ التعس بذلك الزوج "المبتلى" داعية له بالهداية.

أما هذه فقد جاءت لعملها وبيدها خطاب رجاء بإعطائها إجازة بدون راتب لمدة ستة أشهر، أو ليقبلوا استقالتها، وكانت الدموع تترقرق في عينيها! فقد اكتشفت أن زوجها يخونها مع الخادمة وذلك بمجرد خروجها في الصباح! وبطريق الصدفة اكتشفت ذلك عندما رجعت في غير موعدها المعتاد لتجد ما كانا عليه من وضع، انتابتها شجاعة عجيبة، أغلقت الباب عليهما بالمفتاح ولم تفتح حتى رمى عليها يمين الطلاق ملبياً طلبها في ذلك، ووعدها بأن يترك لها البيت لتربي أبناءها، وأن تسامحه!! وغادر المنزل بعد أن قامت زوجته بضرب الخادمة علقة ساخنة تبرد بها نارها الموقدة، وأخذتها من يدها متوجهة بها إلى أهلها لتسفيرها في الحال وإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

جمعت حوائج أبنائها وأخذتهم إلى جدهم من أبيهم وتركتهم هناك، غير معطية أي تبرير عند سؤالهم لها: ماذا حدث؟ غير

أن قالت: اسألوا ولدكم فعنده الإجابة!؟ وتركته يتحمل نتيجة فعلته الشنعاء! ويدفع ثمنها بطريقته.

أما الأخيرة! وليس هناك بأخيرة ! فكلما سألها صديقاتها! لماذا لا تتزوجين؟ قالت: أين الرجل الحق الذي تأمن نفسي معه؟ هو لم يولد بعد!! ودائماً تتخيل نفسها محاطة "بعالم من المجانين" لا يوجد فيه عاقل غيرها وغير صديقتها المخلصة التي يطلقون عليها لقب! "المُعقَّدة".

obeikandl.com

وعند اقتراب الخطوات دفعها فضولها للنظر بطرف عينيها، ثم أدارت وجهها شيئاً فشيئاً نحوه حتى اقترب أكثر وشعرت بتوقف قلبها بين ضلوعها.

بصيص من أمل...

تأتي العواصف المدمرة أحياناً، لتقتلع ما بين الزوجين من الاطمئنان والسكينة، وتحل مكانهما الأشواك، وتفرش طريقيهما، بدلاً من الزهور والأماني التي بدأ بها الزوجان مشوار حياتهما معاً.

العناد والمكابرة التي تهدم الأسرة هي السائدة في البيت، ترتع بتشجيع كلا الطرفين، ويُهدم البيت على رؤوس الجميع بقرار سريع يتخذه الزوج حتى يصبح الصلح بين الزوجين من المستحيلات، و تتحطم سعادة الجميع وتتناثر مشاعر وقلوب الصغار تنزف آلاماً من التغيرات التي طرأت على سير حياتهم على غير عهدها، لينتظرهم مصير مجهول لا يعلمه إلا من خاض التجربة بنفسه..

ولكن يتدخل القدر أحياناً ويحمل معه بصيصاً من أمل كاد يفقد تماماً وسط زحام الأحداث المؤلمة.

أفاقت من شرودها على طرقات خفيفة على باب غرفتها، أذنت بالدخول، أخبروها أنه يريد مقابلتها ولكنها رفضت بإصرار، يكفيها ما عانت بسببه من ألم وعذاب منذ عرفته، لم تزل تعاني من إحباطات متتالية ولا تريد المزيد.. قالوا لها: إن لكل إنسان حق الدفاع عن نفسه، امنحيه الفرصة واسمعي دفاعه.. بعد محاولات

كثيرة خضعت لهم، فقد أرسلت له طفلها رأساً بعد ولادتها له حسب رغبة أبيها التي أدمت معه قلبها قبل عيونها، فُتح الباب، فأشاحت بوجهها عنه لئلا ترى شيئاً، وعند اقتراب الخطوات دفعها فضولها للنظر بطرف عينيها، ثم أدارت وجهها شيئاً فشيئاً نحوه حتى اقترب أكثر وشعرت بتوقف قلبها بين ضلوعها.

كان ماداً يده نحوها يحمل طفليهما الصغير الجميل!؟ كانت قد رفضت رؤيته قبل إرساله إلى والده لئلا تتعلق به وتبدأ مشوار المعاناة بطعم آخر من المرارة والألم.

بعد تردد مدت يدها وتناولت الطفل، تعلقت نظراتهما سوياً وكأن صوت الطبول يدوي ليعلن عن بدء مشهد جديد لم تعهده من قبل يحمل معه مشاعر ترتج لها كل خلية في جسدها، بدأت مقاومتها تنهار وقربت وجهها إليه، نسيت وجود من هم حولها، وكانت نظرات الطفل موجهة لعينيها وكأنه يترجاها لا تحرميني من حضنك يا أمي!! لم تستطع الصمود أكثر، فقد أصبح لديها أغلى الناس، واحتوته بيديها وقبلته وضمته إلى صدرها لترضعه، ونزلت دمعة زوجها على وجه الطفل تعلن عن ندم وترجو السماح.. ابتسامة عاتبة من بين شفتيها أطلت على وجهها، وهي تنظر إليه معلنة عن القبول والتسامح وبداية طريق جديد في محاولة أخرى للحياة سوياً، إكراماً لهذا المخلوق الصغير، وتأكد الزوج أن المرأة كما قالوا مثل العُشب ينحني أمام النسيم، ولكنه لا ينكسر للعاصفة.

وافتحي صفحة النصر الأكيد بمجلة وجريدة تكونين أنت محررتها ورئيسة تحريرها قلبك محبؤها وخيالك أوراقها!!

الفصل الأخير!!

كانت ملامح وجهها الصامت تروي قصتها المأساوية التي تظهر تفاصيلها من خلال نظرات عينين حزينتين، تجدها وهي تحاول بجهد إخفاء ذلك بيأس شديد لتظهر أو لتتظاهر بالقوة التي فقدتها أمامنا دون أن تشعر، ولكن كيف لها أن تخفي ذلك؟ فقد كان أهلها هناك، وكيف لها أن تقاوم مشاعر جرح ينزف مع كل خبر ينشر ويرى على شاشة التلفاز؟! حالة السُعر والوحشية التي انتابت البشر هناك في أرض الرافدين، أرض دجلة والفرات، أرض العراقة والتاريخ.

كان الجميع يعاني تحت وطأة القنابل والصواريخ الغاشمة، لا يملكون غير آلام القهر وقلة الحيلة، ولا يملكون حتى أبسط أنواع الأسلحة للدفاع عن أنفسهم، كانت أسلحتهم أسقفاً يختبئون تحتها، تشهر ضعفها وتستسلم مع ما يقذف فوقها بيد المعتدي الأثيم؛ فيسقط فوقها قنابل، وتسقط فوقهم حطاماً وركاماً يدفنون تحته، التقطت بعيوني التي تنظر إليها ما تنطق بها مشاعر صامتة أقوى من أي تعبير!! .

أرخيت عيني وتظاهرت بالقراءة! قراءة جريدة كانت بالأمس تحكي قصة ملحمة بطولية شدت العالم بأسره، كان الناس جميعاً يدعو بحماسه بالنصر الأكيد على أرض واقع حزين أبكى عيوناً

وعيوناً، اختفى وانطوى فجأة خلف أيام معدودة بل خلف ساعات فقط من تاريخ شهد عليه العالم كله، كان مثل كابوس مزعج فظيع عاشه كل حر بكامل تفاصيله وبكامل مشاعره، كابوس من نوع آخر لا يلتصق بذاكرة كل من عاصره فقط، بل بذاكرة الزمان التي لن تمحى ما دام على الأرض إنسان.

حذف الرقيب بعض كلمات خطها قلمي وقعت على صفحات بيضاء نقية، كم شهدت على مشاعر صادقة كتبت فوقها. مشاعر لا تعترف بمقص رقيب يصر على أن يكيفها كما يشاء؛ فيحذف كلمة كانت كنغمات وتر في آلة عازف ماهر فتفقد النص رونقه .. كلماتي التي بها يتفجر ما بداخلي من بركان، كي أهدأ ولو قليلاً خاطبت نفسي قائلة:

لا تحزني وألقي بجريدتك ومجلتك تلك في قمامة التاريخ، ألقي بهما فهناك من يدوِّن بيد رقيب وعتيد ما ترفض تدوينه تلك الأوراق المهترئة!! ألقي بهما ودون تردد وافتحي صفحة النصر الأكيد بمجلة وجريدة تكونين أنت محررتها ورئيسة تحريرها، قلبك مخبؤها، وخيالك أوراقها، تدوِّنين فيها مشاعرك بدموع عينيك، بدم شهيد ينزف على أرضها حتى نهاية رحلته فوقها، ليبدأ من جديد حياة أبدية لا يموت بعدها أبداً.. دوِّني فيها ما تريدين من كلمات ولن تمتد إليك فيها يد رقيب بمقصه المعتاد ليقص منها حقائق أقوى من أي مقص لأقوى رقيب. ألقي بما في يدك من أوراق وسيأتي اليوم الذي يقرأ فيه جميع الأشهاد بين يدي العادل الجبار رب العالمين. ولن يستطيع كائن من كان حذف ولا أدنى جزء من فصل المأساة الأخير.

همس بصوت لم يسمعه غيري عندما اقتربت منه قائلا: اجلسي على الكراسي الحمراء..!!

المقاعد الحمراء!!

كان الجو جميلاً على شاطئ بحر الإسكندرية في إجازة صيف، وعلى رغم من التغيير الذي حدث على شواطئها لم يستطع أن يجذب عيني إليه مثل ما يفعله بي البحر، فأنا من عشاق البحار، وأستمع دائماً من أمواجه، إلى كل أنواع السيمفونيات التي تطربني وتمس مشاعري وأحاسيسي.

وقفت أراقب طفلاً لا يتعدى العاشرة من عمره يعمل بجد ونشاط في تنظيف بعض المقاعد والطاولات التي ارتصت على ذلك الشاطئ الجميل، فوق جزيرة سرقت من البحر جزءاً ليجلب كل من يعشق البحر للجلوس فوقها.

كان يختلس النظر بطرف عينه كلما اقترب منه أحد وظن أنه يريد الجلوس لتناول المرطبات التي تعدها أمه على مقربة منه، همس بصوت لم يسمعه غيري عندما اقتربت منه قائلاً: اجلسي على الكراسي الحمراء، وابتسامة تظهر من خلالها طفولة بريئة تترجاك أن تختار المقاعد الحمراء لا الزرقاء أو البيضاء.. كان يتظاهر بانشغاله في التنظيف.. ثم كرر بإصرار شديد قائلاً: منظر الشمس عند الغروب جميل من هنا تفضلي، الكراسي الحمراء.

لم أستطع إلا أن ألبي طلبه واخترت المقعد الأحمر، فجاءني بابتسامة عريضة على وجهه ليوضح لي أنه يملك الكراسي الحمراء، فلو جلست على أي مقعد ذي لون مختلف لم يستطع خدمتي وبذلك سيخسر الزبون..!

ضحكت من ذكائه ودبلوماسيته التي استطاع بها أن يجذبني للجلوس في ركنه، وشد انتباهي كثيراً وحب الفضول في التحدث إليه جعلني أحيي فيه كفاحه ووقوفه بجانب والدته في إجازة الصيف من أجل مساعدتها على توفير لقمة العيش لإخوته الأيتام قبل بدء الدراسة، فهو في نهاية المرحلة الابتدائية.

طلبت منه القهوة فأحضرها بسرعة وكأنها كانت تعد لي بموعد مسبق.

كانت لذيذة الطعم وتختلف عن أي قهوة تذوقتها، ربما لأنني أحببت مقدمها ذلك المكافح الصغير؟ تمنيت ساعتها أن يراه كل شاب مستهتر لا يعرف في الحياة غير الترف والبذخ والتبطر، تمنيت أن تكون معي كاميرا فألتقط له صورة تكون مثالاً للتضحية يقتدي به طفل لا يلعب ولا يمارس طفولته مثل من هم في عمره يتحمل المسؤولية سعيداً بها وبدون تذمر جنباً إلى جنب مع والدته، في إجازة صيف لن أنساها.

هؤلاء الذين رسموا لأنفسهم مواصفات خاصة في بنوك الصيت ولا الغنى...

هاوية الغرور!

تجد بعض الناس ينتابهم الغرور بمجرد أن يصلوا إلى مكانة وشهرة بين الناس! يرسمون لأنفسهم خطة يسيرون عليها للبقاء في قمة الشهرة أياً كان نوعها، ولو دفعهم ذلك إلى التخلي عن أصدقائهم الذين عاصروهم وقت شدتهم، و يتمسكون بفئة معينة من البشر الذين يعلمون جيداً مكانتهم في عالم الأعمال والأموال! أما الباقون من أصحاب (مد رجلك على قدر غطائك) فتجدهم نكرة في عالم هؤلاء الذين رسموا لأنفسهم مواصفات خاصة في بنوك «الصيت ولا الغنى»! فهذا الصيت ينفع في أحيان كثيرة لإبقاء بعض الناس في القمة والالتصاق بأصحاب الأموال لعلهم ينالون من السمعة الدسمة ما يجعلهم يملؤون عيون أصحاب (المظاهر الخادعة) ولو كان ذلك بالتحايل على من يعرفهم، وإيهامهم بما وصلوا إليه من مكانة بالعمل المضني الذي ظهر في خلال يوم وليلة لا يعلم إلا الله كم كان طولها؟! وتجدهم يزيدون التصاقاً وارتفاعاً بمن يحملون دفاتر الشيكات التي ربما تصل لحساباتهم يوماً ما بطريقة ما، كما يحدث في كثير من الأحيان!.

يرتفعون بغرورهم غير منتبهين بأن كثرة الارتفاع في السماء تجعلهم كذرة في فضاء، تبدأ مع الوقت تقل وتصغر حتى لا

تدركها أي عين مهما كانت حدة بصرها ولو كانت (عين زرقاء اليمامة!) ويخسرون بذلك كل من أحبوهم يوماً قبل أن تدخل تلك الدفاتر إلى جيوبهم التي تضخمت وسدت منافذ الإحساس لديهم عن الاعتراف بمن عاصروهم وأعمت عيونهم عن تاريخ لا يموت بل يظل عالقاً في ذاكرة الأصدقاء والمعارف الذين هم جزء من ذلك التاريخ .

وهؤلاء هم الذين اعتقدوا أن أموالهم رفعتهم وكانت سبباً في شهرتهم في عالم الأعمال.

لم هذا الغرور ؟ ولم هذا التكبر؟ وهم يعلمون أن ما يقدمونه من تضحيات لأصدقاء عمرهم ما هو إلا قطرة في بحر!. أما من تواضع فمهما تضخم رصيده وجيوبه بالأموال وغيرها فسيظل تواضعه يقربه من القلوب التي تفتح أبوابها على مصراعيها دائماً سعيدة به وبأخلاقه، التي لم يغيرها مال و لا علم، فتواضعه يجعله يرتفع في نظر من يعرفه ومن لا يعرفه، وتجده دائماً شاكراً ربه لما وصل إليه من أنعم داعياً ببقائها ودوامها، يعلم جيداً (أن دوام الحال من المحال) ويرثي لحال هؤلاء الذين اعتقدوا بأنهم وصلوا إلى القمة، لا يرون غير أنفسهم التي حجبوها خلف أنوفهم.

ليتهم يعلمون أن الله يحشر المتكبرين يوم القيامة كالزرع فيدهسهم الناس بأقدامهم عند الحشر، فلماذا يسرعون بأن يدهسهم الناس كذلك في الدنيا بلفظهم ولو من قلوبهم ؟ فليتهم يتعظون!.

ويأتي هذا الرسول حاملا سهامه لتصويبها إلى قلوب ظمأى لكي يرويها ويجعلها تلين من أجل أن تشعر بالآخرين...

الحب والحياة!!

اتجهت إليها ونظرت من خلف كتفيها، كانت منهمكة في الكتابة، وتعبير الأمل ينطلق عبر عينيها، فتترجمها أصابعها بالكتابة على ورقة زرقاء يشع منها الهدوء وراحة النفس، قلم يشاركها التعبير بطلاقة عما تفصح به مشاعرها من أعماق نفسها، وتنساب الحروف لتنقل نبضات قلب. التفتت إلي قائلة: هل شعرت بالحب يوماً في حياتك؟.

أحنيت رأسي ولم أجبها، وانطلقت بخيالي لاسترجاع مشاعر عشتها وأشعرتني بوجودي في الحياة. وكفى ذلك لشعور الإنسان بإنسانيته التي وضعها الله في قلوبنا عن طريق رسول لا يتوانى عن الانطلاق في كل الاتجاهات.. ناشراً مشاعر لا يضعها بشر بيديه في قلوب الناس، بل يضعها الخالق سبحانه وتعالى بقوته؛ لتجعل من القلوب مستودعات للرحمة تجلب العطف والحنان على من أحببناهم، وتجعل الجميع يعمل من أجل الآخرين بسعادة ودون ملل، فالحب هو دليل الحياة، يخرجنا من عالم قاس مليء بالأشواك والعقبات التي توصلنا أحياناً كثيرة إلى طرق مسدودة؛ تقف فيها جبال من آلام وأحزان.

ويأتي هذا الرسول حاملاً سهامه لتصويبها إلى قلوب ظمأى لكي يرويها ويجعلها تلين من أجل أن تشعر بالآخرين، ومن شعر

أن قلبه ينبض بالحب بين ضلوعه فهو إنسان طبيعي. فتجدنا عندما نحب يحملنا الحب إلى فضاء جميل نسبح فيه، وفضاء مليء بالأحلام التي نبنيها ونأمل في أن تتحقق يوماً ما، بل نعمل من أجل تحقيقها! فالحب هو الحياة.

obeikandl.com

احتلال لغوي!

هل افتقرت اللغة العربية إلى كلمات نعبر بها عن مشاعرنا؟ أم محت سنين من الغربة معها جذور لغة من أحسن اللغات تعبيراً في العالم؟ لم يكن بين الموجودين من غير المتكلمين باللغة العربية وعلى الرغم من ذلك انتصرت اللغة الإنجليزية، وسادت الموقف، وكانت هي اللغة الرسمية التي بها أداروا الحديث وضاعت لغتنا الجميلة وتناثرت حروفها تحت أقدام الجالسات. كانت تسقط الحروف كالقتلى الذين اغتيلوا على أيدي أهليهم. تلك اللغة التي تحمل في طياتها أعذب وأجمل المعاني نطقاً وتعبيراً ! وفكرت هل سنسير في جنازتها قريباً ؟ هل أصبحت اللغة المكتسبة هي الأم عند كثير من الناس، هل ضعفت إلى درجة تجعلنا ننحيها جانباً بأنفسنا سعداء باكتسابنا لغة نجيدها ونستعذبها، لغة غير عربية نستبدلها بلغتنا، هكذا وبكل بساطة؟ لم يستطع الإنجليز احتلال بلادنا فاحتلوا لغتنا وبدلوها بمساعدة أهلها.. أين حافظ إبراهيم عندما قال..

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

لماذا نحطم صدفاتها؟ لماذا لا نجعل بريقها يضيء ألسنتنا حتى لا تضل الطريق إلى مخارج الحروف لدينا ؟ لغتنا الجميلة لغة القرآن الكريم، لغة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

عُرض برنامج تلفزيوني استضاف فناناً شهيراً بصفة ضيفاً للحلقة؛ ذلك الفنان الذي عاش أكثر سني عمره في بلاد لغتها الأولى الإنجليزية بجانب لغات كثيرة يجيدها تحدثاً وكتابة، عاد أقوى مما كان، لم ينس لغة طفولته وشبابه، تحدث في ذاك البرنامج وكان حديثه بثقة لم تتزعزع، ولم تتعارك اللغات على لسانه كما يفعل آخرون، وكانت وهو يقص بعض تاريخه على مقدمة البرنامج التي استمرت لأكثر من ساعة أمتعت المشاهدين، تنساب الكلمات على لسانه بأعذب ما يكون .. و اكتفى بلغته العربية لغة طفولته وأصله لغة بلده. واستطاع ألا يتفوه بحرف واحد من لغة البلد التي عاش فيه أكثر سني عمره . وأمثاله كثيرون .

لا أعترض على تعلم لغة أخرى بجانب لغتي العربية، فقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعلم اللغات الأخرى لنتقي شرور القوم خاصة الأعداء، بل شجع على ذلك، ولكنه لم يستبدلها بلغة القرآن الكريم... ويدرس كذلك أبناؤنا اللغات في المدارس، فهي بالطبع ستساعدهم في مستقبل حياتهم كثيراً، والتحدث مع الأبناء من أجل تقويتهم في اللغة شيء جميل، ولكن استبدالها بالعربية في محادثاتنا ونحن جميعاً عرب بحجة أن لغتنا قد تاهت حروفها على ألسنتنا بسبب مكوثنا في البلاد الأجنبية عدداً من السنين ليس بمنطق، بل ظلم لأنفسنا !؟

حسرة على ما أنفقت من محاولات لا تجدي في حشو قلبك بمشاعر لا تملكينها...

أوراق مبعثرة !

تقولين أوراقي مبعثرة!! وقد نسيت أنك بعثرت مشاعري وشتت أفكاري!! لاتندهشي لصراحتي، فقد أدهشني قبلك حشو خادع مزيف، غير كسمك وشكلك، وبكعب حذاء أضاف طولاً مزوراً أخفيته في طي ردائك! وتقولين أوراقي مبعثرة!؟

ليت ما بعثرته يداي هو أوراقي فقط، فإن حياتي كلها بقدومك بُعثرت!

أبحث عن مخرج لمصيبتي لعله يكون درساً وعبرة لمستقبلي؟ توقعت أنني ولهان في حبك، وقسوت وغدرت وخدعت قلباً غفر لك غشك.. لعلك تفيقين وتتراجعين عن غيك.. ولكن هيهات قلبي لك يغفر، ولحب خائن يخضع.

رأتك أختي بعينيها، وأغلقت أبواب عيني ثقة بوصف أنثى، وظننت أنك تحملين مشاعر أم كمشاعر نساء العالمين، ولكن ظني فيك سرعان ما خاب، وانكشف وظهر ما كنت تبطنين وفي داخلك تخفين !!.

حسرة على ما أنفقت من محاولات لا تجدي في حشو قلبك بمشاعر لا تملكينها؛ لأنك ما عشتها قبل أن أعرفك فكيف ستتغيرين!؟.

يقولون من أجل عين تكرم مدينة!! وأنت من الكرم تتجردين، وتبخلين، وفوق ذلك تتجبرين!!، مخدوعة أنت بتمكنك مني و بما تعتقدين؟ وبفعلك هذا لن تستمر حياتنا، وإذا أفقت يوماً فسيكون فات أوان الغفران لك عندي، مهما حاولت وإذا آن أوان الحرية التي ستنقذ ما تبقى لي من آدميتي، فسأوفرها لمن تستحقها، بعد تمعن بعيني أنا لا بعين غيري، فلتبحثي عن مخرج به تهربين، وسأترك أبواب منزلي مفتوحة لك على مصرعيها متى أحببت أن ترحلي، فلا تتراجعي.. فقلبي أغلقت حجراته وألقيت بمفاتيحه في أعماق بئر مظلم ليس له قرار.

هذا ما كان يجب أن يحدث منذ البداية، ولكن عيشك عندي لم ينقطع، أطلب منك الرحيل من حياتي كلها، ومن قلبي وتفكيري، ومن أيامي وذكرياتي، فقد أتيت على آخر قطرة من صبري، وليس لدي من مخزون أستعين به لتعويض نقص ليس له تعويض.

obeikandi.com

دق قلبي دقة شعرت بها تزلزله من بين ضلوعي، اندفعت إلى غرفتك لعلك تكونين...

أمـــي!!

قبلت يدك يا أمي ورجوتك ألا تذهبي ! تجاهلت دموعي وخرجت تخفين عينيك عني، غير ناظرة وراءك، دفنت رأسي في حضن دميتي وبكيت حتى بللت قطنها ولم تشتكي! غابت شمس ذلك اليوم ولكنها رجعت .. أما شمسك يا أمي لم ترجع!.

بحثت عنك بين نساء يلبسن ثياباً سوداً وبيضاً، ولكنك لم تكوني بينهم .. مدت إحداهن يدها لتجذبني من ثيابي فأبعدتها عني ! قلبي أصابه الاكتئاب من تلك الدموع التي رأيتها في أحداق الجالسات، والتي حاولن إخفاءها عني، لم أفهم وقتها ماذا يجرى في بيتنا؟ وكان رأسي يبحث في داخله عن معاني الحزن في عيني الجميع .

دق قلبي دقة شعرت بها تزلزله من بين ضلوعي، اندفعت إلى غرفتك لعلك تكونين هناك، ولكن كانت غرفتك كما تركتها بالأمس القريب، حتى قميصك كان في مكانه، رفعته إلى وجهي وشممته! رائحتك ما زالت فيه، أخذت أمسح به وجهي لعلي أفيق من كابوس يكاد يزهق روحي، كتبك التي كنت تقرئينها لازالت هناك في مكانها تنتظرك وبصماتك عليها لم تمح .

صوت الحزن يسير معي في تجوالي، في بيتنا الذي تركته دون عودة، لا أدري إن كان ذلك الصوت في خيالي في تصوري..

كنت أبحث عنك في كل ركن كنت تجلسين فيه، صدى ضحكاتك كان لا يزال يملأ أرجاء المكان، أين دموعك الخائفة علينا في مرضنا، أين بسماتك؟ أين دعواتك؟ أين نداؤك لنا لنجتمع على مائدة الطعام عندما كنا نأتي من مدارسنا فرحين بما كنت تجهزينه لنا من أطباق نحبها؟ أين وأين؟.

كنت أسمع دائماً تكراراً لكلمة ستة أشهر!! لم أكن أفهم ماذا كان يدور حولي غير خروجك مع أبي للذهاب لموعدك مع الطبيب! وعند عودتك كنت تحتضنيننا وأنت تبكين! ولكن سرعان ما كانت ترجع الابتسامة إليك، وأراك وأنت تتجهين لمقعدك المفضل وتحملين كتاب الله بين يديك وعلامات الراحة ترتسم على وجهك وكأن شيئاً لم يكن! وتعود الابتسامة لتضيء وجهك الحبيب فتزيده جمالاً على جمالك الذي انطبع داخل قلبي قبل عيني.

وجاء ذلك اليوم الذي حُملت فيه حقيبة سوداء مليئة بملابسك، وأخذنا جميعنا نبكي ولكنك كنت تزرعين الأمل في قلوبنا الملتاعة بكلمات تظهر من قلب يملؤه الأمل، ولكن على الرغم من ذلك خرجت وغبت عن أعيننا للأبد ولم تعودي .. أمي لا أحد يستطيع ملء فراغ تركته ولا ملء قلوب عطشى لحنانك. وسأظل دائماً أحن لكلمة (أمي).

السمك ونحن متساوون، يأكل قوينا ضعيفنا إذا سنحت له الفرصة ولكن بطرق مختلفة

عين السمكة!

هل تنظر السمكة إلينا مثل ما ننظر نحن إليها؟! فنحن ننظر إليها بشهية، وإن كانت نيئة، نخطط لطرق طبخها، وننفذ ما تغلبه علينا شهوة معدتنا، فنتخيلها مقلية أحياناً أو مشوية أو مخبوزة في فرن، أو محبوسة في حوض للأسماك لتنعم عيوننا برؤيتها. ولا نتساءل أبداً عن حركتها الدؤوب وهي تبحث عن مخرج تهرب عبره إلى عالم الحرية في محاولات مستمرة لا تمل منها إلى أن تغادر الحياة إلى الفناء، وتريح وتستريح من ظلم الإنسان لها.

ترى كيف تنظر هي إلينا؟ أغرقى في بحر أو في محيط أو نهر، أو حتى بحيرة صغيرة تطوف أجسادنا فوق سطحها فتنهش في لحومنا بدورها، وتصبح أجسادنا وجبة شهية تملأ معدتها؟ أم تطاردنا في بحر تعلو أمواجه وهي تحوطنا بأحجامها الكبيرة في انتظار الانقضاض علينا ونيل نصيبها منا (كما في قصة العجوز والبحر)!؟

ليس هناك أحد أفضل من الآخر، فالسمك ونحن متساوون، يأكل قوينا ضعيفنا إذا سنحت له الفرصة ولكن بطرق مختلفة. ولكن الفرق بيننا وبين السمكة أنها أشجع من كثير منا، فهي ترانا بعينيها المفتوحتين ونحن نأكلها وحال لسانها يقول لا تضار الشاة بعد ذبحها.

وأنا من عشاق أكل السمك، وقد أسعدني كثيراً رؤية طرق صيد الأسماك في هلسنكي عاصمة فنلندا في شهر مارس منذ عدة سنين، حين كانت درجة الحرارة تقرب من عشرين درجة مئوية تحت الصفر، كان الناس يسيرون فوق البحر بسياراتهم ويقفون فوق المياه المثلجة في أماكن يختارونها، وكأنهم يقفون في صحراء رملها أبيض، لا ينقصها غير شجرة تضفي عليها جواً صحراوياً عربي الملامح، هكذا تخيلته وقتها.. كل ذلك من أجل صيد السمك، بالطريقة التي نراها أحيانا في أفلام الكرتون. بأن يحدثوا فجوة في الثلج يتدافع عليها السمك متبعاً الضوء الذي يشع من كشافات يضعونها بجانبهم، فكما هو معروف لكثير منا أن السمك يأتي إلى مصدر الضوء. ثم يصيدونه بكل سهولة وبكميات كبيرة في وقت قصير جداً يكاد لا يُصدق.

هذا دليل على أنه ليس هناك ما يمنع الإنسان من البحث عن الأسماك وصيدها، وإن كانت عيونها مغمضة، فلن يمل أبداً مهما كلفه البحث من مشقة الصيد ولو من تحت البحار المثلجة من أجل عيون السمك اللذيذ.

وقف مكانه وتملكه الرعب فجأة، وأخذ ينظر حوله! أنه قد نسي اسم الشارع واسم الفندق الذي ترك زوجته فيه؟!

إجازة سعيدة!

وصل إلى نيويورك بعد رحلة سفر طويلة مع عروسه، لقضاء إجازة شهر العسل ! بُهر بجمال المدينة وارتفاع ناطحات السحاب فيها، وأخذ يبحث مع سائق التاكسي عن فندق معقول الأجر، وبعد لف ودوران في نهار يوم كامل عثر على الفندق المطلوب، فهدفه هو التوفير حتى يستطيع تغطية البرنامج المعد له من قبل أحد أصدقاء الخبرة بتلك النوعية من السفر! لم يكن الفندق من ذوي "خمس نجوم" بل أقل بكثير، ربما هو ذو نجمة واحدة وفي منطقة غير شهيرة! ولكنه نظيف وهذا هو المطلوب!

تمت إجراءات الدخول بكل بساطة وتسهيلات! سرح خياله مع الفسحة الجميلة التي يعدها لعروسه الصغيرة! دخلا الغرفة فوجئا بها صغيرة جداً لا تتسع لهما ولحقائبهما سوياً والتي أتوا بها وهي مليئة بكل ما يمتلكانه من ملابس جديدة بجهاز العروس الرائعة !! من الظاهر أن صديقه قد نسي أن ينبهه إلى أن بنطلون الجينز هو سيد الملابس هناك! وببعض من "التي شيرتات" سيتمكن من سد احتياجاته من الملابس؛ فالبساطة هي الغالبة في هذه البلاد."

رضيا بالوضع فقد نالهما التعب من كثرة اللف ومن السفر الطويل، وقررا ترك الملابس داخل الحقائب لعدم وجود خزانة تستوعب ما أحضراه. وبناءً على نصيحة صديقه أيضاً لم يطلب العشاء من داخل الفندق بل قرر النزول إلى السوق بنفسه لشراء بعض الأطعمة للتوفير! ونزل مغادراً الفندق تاركاً عروسه لتستريح.

خرج إلى الشارع وأخذ يسير باحثاً عن بقالة قريبة من الفندق ! حتى ساقته قدماه إلى شارع كبير مليء بالمحلات والمتاجر التي بهرته، دخل أحدها وأخذ في شراء مؤونه تكفيه وعروسه لعدة أيام.

خرج من المحل وقف مكانه وتملكه الرعب فجأة وأخذ ينظر حوله! فقد نسي اسم الشارع واسم الفندق الذي ترك زوجته فيه!! بدأ يسير من شارع إلى آخر، وأخذ ينظر إلى المباني لعل عينيه تقعان على الفندق المنشود، وكان محملاً بتلك الأكياس الثقيلة التي أضافت إليه عبئاً من نوع آخر هو في غنى عنه! لم يدر ماذا يفعل؟ فعروسه صغيرة في العمر ولا تستطيع التحدث بالإنجليزية مثله تماماً، فقد تعلم عدة كلمات من صديقه "النصوح" أوصلته فقط إلى الفندق المشؤوم! استراح قليلاً عندما تذكر أنه قد نصحها بعدم فتح الباب إلا له! لم يدر ماذا يفعل وأخذ يحاول تذكر اسم الفندق ولكن دون جدوى! وندم على أنه لم يأخذ معه بطاقة من الفندق مدوناً عليه العنوان! ولكن الندم

لا ينفع في تلك المواقف، وأظلمت الدنيا في عينيه، وأخذ الشيطان ينسج على خياله ما يمكن به تدمير عقله ندماً.

أخذ يبحث عن شرطي ينقذه إلى أن ظهر أخيراً وبدأ يصف له مشكلته، وبعد عناء فهم منه الشرطي ما قد فهمه!، وبدأ البحث في الفنادق المجاورة عن عروس تركها زوجها واختفى!. أما العروس فقد كانت أذكى من زوجها، فبعد غيابه وقلقها عليه ويأسها من رجوعه أخذت دفتر تليفونات قد دونها لها والدها في حالة احتياجها لأي شيء في تلك الغربة، ونزلت إلى موظفة الفندق وطلبت منها بالإشارة مساعدتها على الاتصال بوالدها في بلدها! فما كان من الأب إلا أن طلب التحدث مع الموظفة التي لبت طلبه في نقل ابنته إلى فندق خمسة نجوم بعد إعطائها رقم بطاقته كي تخصم المبلغ المطلوب! وتم إخبار السفارة في واشنطن بما حدث في حالة رجوع العريس إليها لطلب المساعدة؛ وذلك عندما تلهمه قريحته التي أدت به إلى تلك الورطة التي لم يحسب حسابها.

واجتمع العروسان بعد محاولات تضاهي قصص "جيمس بوند" وتعلم درساً لن ينساه، وتأكد أن السفر بدون الإلمام باسم الفندق والاحتفاظ بعنوانه قد يعرضه لمشكلات هو في غنى عنها!.

أحداث مع عجلة الزمن تدور وفي اتجاه واحد تسرع دون توقف ولو لبرهة في محطات الأيام!

أحضان الضياع !

عندما هم بالنهوض من فوق سريره شعر كأن ضغطة يده على فراشه تسحبه إلى هوة سحيقة لا يدري منتهاها، كان يهوي في أعماق نفسه البائسة التي لا تستطيع أي فرقة إنقاذ إخراجه منها، فلا يد تمتد نحوه لتنتشله، ولا ضوء بسيط يريه أين النهاية.

أغمض عينيه وأخذ يتمتم بكلمات لا يسمعها غيره، واستسلم لضعفه وعدل عن المحاولة.

أي نوع من المشاعر يجتاح كيانه الآن؟! لا يدري فهو الذي كان بالأمس ما كان، أصبح اليوم يعيش هكذا مع ذكريات تنهش عقله المحطم.. كبر الصغار وتزوجوا وابتعدوا، بل ابتعد هو عنهم، فليس لديه ما يقدمه لهم ولا ما يوجههم إليه، وعاد البعيد منهم وغاب الحاضر وهو يقبع مكانه لا يملك غير عيون ترصد كل ما يدور حوله، وفم لا يملك منه غير شفتين كانت ترتسم الابتسامة فوقهما، والآن جفت على أطرافهما، ولسان يعجز عن التعبير.. حتى قدماه وهنت وأبت أن تحملاه، كيف يمكنه المقاومة الآن وأين الحل!..؟ أخذ عقله يطوف به في أعماقه محاولاً إيجاد مخرج، لديه تساؤلات كثيرة لا يمكنه الإجابة عنها؟ أين فرحته التي ظن سابقاً أنها ستدوم؟ كيف سيواجه مصيره المشؤوم الذي آل إليه؟

كيف سيتمكن من إيقاف مأساة هو كاتبها ومخرجها ومنتجها ؟ من عنده الجواب؟ لا يدري!. ذكريات تحاسبه أحداثها بعنف.

أحداث مع عجلة الزمن تدور، وفي اتجاه واحد تسرع دون توقف ولو لبرهة في محطات الأيام!. أين ذهبت من كانت تظلل بيته بالحب والحنان لسنين طويلة؟ بل أين ذهب هو؟ وماذا ترك لها؟ لم تعد تهم الإجابة عن تلك التساؤلات، فما يمر به الآن يكفيه وتكفيه ذكرياته التي تلسعه بسياط من نار، تعجل له في نهاية لا يستطيع مواجهتها.. عالم من الأسرار يحمله في طيات قلبه ويغلق عليها بقفل من فولاذ لا يحمل مفتاحه إلا طبيبه الخاص، يأتيه في مواعيد منتظمة ويجلس معه ويخرج كل ما في جعبته من أحاسيس وكلمات تنم عن ندم في وقت لم يبق للندم فيه فائدة، فالكل يعلم بأنه مصاب بمرض عضال لا يمكن أن يبرأ منه أبداً، ظانين أن السرطان هو المرض!! وهم لا يعلمون أن السرطان أشرف منه وأرقى، وعلاجه أصبح غير مستحيل، ليته كان سرطاناً لتمكن من علاجه والانتصار عليه مثل كثيرين قبله.. ولكنه ليس كذلك، فالسرطان لا ينتقل من شخص لآخر.

إن ما يعاني منه ما هو إلا كصهيوني محتل جلبه هو بنفسه بماله وصحته عندما كان يملكهما، لن يستطيع لوم أحد غير نفسه ففرحته بحياة اللهو كانت تعمي عينيه عن ملذات حقيقية كانت تحيط به وبأمان، أعمته عنها لذة مؤقتة في أحضان الضياع!! أهداها ماله وأهدته الدمار.. منبوذ داخل ذاته ينتظر لحظة أمل لعلها تنتشله من عالم الأسرار بين أحضان الضياع. إنه الإيدز!!

وتراودك أفكار كثيرة وأفكار ليس لها حصر ولا تتمنى في تلك اللحظات إلا أن تعيش من أجل شبابك

اختبار للشجاعة

إذا أراد الإنسان أن يختبر مدى شجاعته وقوة إرادته وصبره فليذهب إلى طبيب الأسنان وليقبل بعلاج أسنانه وبذلك سيظفر بحقائق تبهره حقاً، وتكشف حقيقته وتعريها بصدق أمام نفسه وأمام طبيب الأسنان ومعاونيه من هيئة التمريض ! فوجود أطباء الأسنان يحتمل أن يكون في رأي الكثيرين ما هو إلا لاختبار مدى شجاعتنا نحن البشر.

من منا لا يخاف طبيب الأسنان؟! فهو أكثر تخصص يرعب البشرية، ليس ذلك من لا شيء؛ بل من كثرة الأدوات التي يستعملها، فمنها أدوات للحفر، وأخرى للتكسير، وثالثة للخلع !! وهي أداوات استعارها طبيب الأسنان من النجار والبناء والسباك، فذلك "مثقب" لعمل الحفريات، وأخرى "كماشة" لخلع الفاسد، وهناك أجهزة أخرى لعمليات التلييس وتبييض الأسنان والتلميع والكشط! ذلك غير ماكينة الشفط التي تحاول بدورها أن تخفي وراءها صوت "المثقب" المزعج السخيف الذي يتحداك علناً وأين ذلك التحدي؟ ليس على أرض محايدة بل داخل فمك المفتوح على مصراعيه! بعد إعطائك عدة جرعات من المخدر الذي يدفعك لأن تقبل العلاج. تقوم تلك الماكينة بشفط ما يمتلئ

به فمك من سوائل في أثناء عمل المثقب حتى تخفف نوعاً ما من الشعور الذي سينتابك بدونها!! وتستسلم برضاء تام منك خوفاً من أن تتحرك لئلا يحدث ما لا تحمد عقباه، فتتلبسك شجاعة لا يعلم غيرك إذا كانت حقيقية أم مزيفة! وتبدأ بعد الثواني قبل الدقائق، وتتساءل في كل ثانية متى سينتهي هذا العمل المضني الشاق !؟ وتراودك أفكار كثيرة وأفكار ليس لها حصر، ولا تتمنى في تلك اللحظات إلا أن تعيش من أجل شبابك وعيالك الذين هم بانتظارك، أو أن ترجع لطفولتك البريئة وتسعد بإطاعة والدتك المصونة وتنفذ نصائحها الثمينة بتناول الأطعمة المفيدة والغنية بالفيتامينات والمعادن، أو بالأكل المطحون بالمكائن الكهربائية الذي سوف لن تحتاج فيه إلى أنياب ولا أسنان طبيعية تقوم بعملية الطحن، بل ستتمنى أن تعود الأيام الماضية لتنفذ كل ذلك من أجل الفوز بأسنان سليمة تضع والدتك دعائمها منذ صغرك قبل أن تقف ذلك الموقف المزعج.

وهناك سؤال يطرح نفسه: الآن وهو من أوحى إلى طبيب الأسنان باستعمال تلك الأدوات؟ أهو النجار أم البناء الذي يشيد العمران أم السباك؟ فكلهم يستعملون الأدوات نفسها مع فارق الأحجام!. وبالطبع هناك الجواب وستجده في الموسوعات العلمية الثقافية بعد البحث والتنقيب.

وأصبحت تخلط بين الجميع لا تدري مع من تتحدث؟ وعميت عيناها وقسا قلبها

الضحية !!

يمكن لكثير من الناس أن يخفوا حقيقتهم خلف أقنعة لفترة محددة، وتأتي أحداث على غير توقعاتهم، فتنزع الأقنعة وتعريهم أمام الجميع فتكون ردة فعلهم عنيفة كإعصار مدمر يحطم كل من يصادفهم في هجوم لا يرحم، غير عابئين بنتائجه التي تزيدهم خسارة على خسارتهم باكتشاف أمرهم !! فأقنعتهم لا تتحمل الخداع لفترة طويلة، وتسقط عنهم مظهرة بشاعة تصرفاتهم، وهذا يجعلهم يتخذون حيلاً أخرى، ويتقمصون صورة الحمل الصغير متخذين مبررات لفعلهم ذلك، وتلك الحيل تنطلي على بعض الناس ويرفضها آخرون، والذين يؤمنون بأنه " ليست كل الطيور تؤكل لحومها" !

غلف الحزن قلبها واعتصره ألماً وحسرة.. فآخر ما توقعته أن يصدر ذلك من أقرب الناس إليها، كانت تبذل الكثير لإسعاد كل من تعرفهم، سواء أكانوا أقرباء أم أصدقاء! حتى جاءت اللحظة التي سقط فيها القناع وظهر الوجه الحقيقي، حقيقة لن تستطيع إخفاءها مهما حاولت، فقد نسيت تلك الإنسانة حق الله عليها وأصبحت تتعامل معها وكأن بينهما ثأراً قديماً تريد رده!! والوجه الحقيقي الذي ما توقعته يوماً بات مكشوفاً، فأي الأقنعة تجدي

الآن؟ أبعد كل ما قدمته لها تكون هديتها بالطعن في الوجه والخلف وتكون هي سبب تعاستها ؟!.

لو كانت تواجهها بمشكلاتها لكانت تمد لها يد العون بكل حب وحنان ودون مقابل، ولكنها كانت تلجأ إلى كل غريب في مساعدتها، وتأخذ بنصيحة أقل الناس خبرة في الحياة، وتركل بقدميها نصائح من وضع الله الجنة تحت قدميها !! نعم لقد نسيت أنها أمها التي أوصى بها الله في كتابه العزيز، لا يكون كلامها معها غير تقريع ولذع وإهانة، وألوان من النكد المتواصل، لا تقدم لها غير ما يعكر صفو حياتها، وأصبحت تخلط بين الجميع لا تدري مع من تتحدث؟ وعميت عيناها وقسا قلبها حتى كان كالحجارة أو أشد قسوة، استفاد الجميع من كل خير قدمته إليهم تلك الأم الضحية ورفضته هي دون رحمة.. تبكي وتشتكي الظلم الواقع عليها وكأنها تعيش مع زوجة أب شريرة، فمن يسمعها تحكي قسوة أمها مخلوطة بدموع التماسيح يحنق على الأم ويتمنى أن يتمكن من رقبتها فيفصلها عن جسدها انتقاماً!!. فكيف لتلك الأم أن تصنع هكذا بذلك الحمل البريء، بتلك الوداعة الماثلة أمامهم بذلك الجمال الذي يخفي وراءه قطعة من الصخر لا يراها غير ضحيتها؟

وماتت الأم ولفظت أنفاسها بعد معاناة، تاركة دار البوار لمن يُخدع بها، ووجدت الابنة نفسها وحيدة نادمة بعد فوات الأوان حيث لا يجدي الندم! فهل هناك من يعتبر؟

راقبتك لكي ألتقط ثغرة في حديثك لتدلني على طريق يمكنني به الدخول إلى مشاعرك

تركني من أجلها!

ما موقعك في قلبي وفي حياتي؟ لا أدري! أسنين الفراق زادتك لهفة علي؟ أم فراغ انتابك وأردت ملأه؟ توقف قليلاً أيها القلب لا عن النبض! ولكن عن التهور والاندفاع.

لا تقل لست مدمناً!؟ عقد من السنين بعدت فيه عنك، برغبتي وقد نلت حريتي بعد أن رميت مشاعري أرضاً، ناسياً سهر الياليّ التي كنت أسجل فيها مشاعري بكلمات تفيض شوقاً إليك وحباً على ورق وردي لعلك تصحو من غيبوبتك التي ظننت أنك ستفيق منها! وقد خيرتك فاخترت غيري ! ليتها كانت أخرى! ليتها كانت بلداً أو كائناً حياً، لو كانت كذلك لكان أهون على قلبي آن ذاك! بل للأسف كانت نبتة الشيطان ذلك القاتل المدمر البطيء "الحشيش" .. وتحاول إقناعي بأنه لا يسبب الإدمان، ليته كان يسببه فنهاية الإدمان طريقان إما الموت أو العلاج، ولكن ما أراه الآن ما هو إلا بقايا إنسان كان فيما مضى وسيماً جميلاً مملوءاً بالأحاسيس العذبة والمشاعر الفياضة، لماحاً ذكياً وأشياء أخرى كثيرة أحببتها فيك، ولكن الجالس أمامي الآن شخص آخر يتكلم بلا شعور، وتنظر عيناه في كل الاتجاهات إلى لا شيء، محبطاً يائساً يشعر بظلم كل من يعرفهم له! ولا يعرف

أن سبب ما يعتقد أنه ظلم! ما هو إلا اشمئزاز الناس منه وشفقتهم عليه.

بدأت الحديث معك في محاولة مني لتذكيرك بما مضى! بأيام حلاوتها لازلت أشعر بها.. لم أجد في كلامك وردودك سوى المرارة والشكوى! راقبتك لكي ألتقط ثغرة في حديثك لتدلني على طريق يمكنني عبره الدخول إلى مشاعرك إلى عقلك لعلك تفيق، ولكن سُدت كل ثغرات عقلك بيديك أنت! أين الذي أحببته وأحببت فيه قوة شخصيته وكبرياءه حتى عناده؟ لا يوجد أمامي غير كلمات مبعثرة تتخبط ولا تجد لها طريقاً إلى عقلي فتقنعني وأجدها تتوه وتنتحر.

كم كان حزني عميقاً عندما اخترت البعاد عنك، ولكن ما أراه الآن جعلني أشفق عليك وأحمد الله على حُسن اختياري.. لم أكن أتخيل أن يتبدل الحب في مشاعري إلى أسف شديد عليك وشفقة .

لن أتكلم معك عن لحظات قضيناها معاً!! لأنني على ثقة بأن ذاكرتك أيضاً قد أصابها الضمور والعطب، كما ضمر جسدك وعطب تفكيرك؛ لذا أرجو منك أن تتركني أنسحب من حياتك للمرة الأخيرة وللأبد، ومن لقاء ظننت بأنه سيعيدني إليك وإلى أيام جميلة مضت.. وداعاً .

ورأت مرسم زوجها ينقص بالتدريج، كل يوم لوحة، حتى اختفت من الغرفة كل لوحاته

خدعهُ أبي.. وظلمني !؟

تصل أنانية بعض الآباء أحياناً إلى الخديعة والغش، من أجل التخلص من فلذات أكبادهم بطرق تظهر للجميع بأنها شرعية، ولا يكون ذلك إلا على حساب الابنة أو الابن ذوي العقول المحدودة، والتخلص منهم بطريق يعتقدون بأنه آمن حتى يخلو لهم الجو للعيش كما يعتقدون بسلام.

ظلمها أبوها وزوجها لشاب صغير، لم تكن تعرف من الزواج غير رداء أبيض ثم بيت وأطفال!! حفلة أُقيمت وأعلن من خلالها فرحتها بزواجها !، قامت بواجبها كما نصحتها إحدى أخواتها.. مرت حياتها معه كما مرت معها أحداث لم تفهم منها غير أنها ستصبح أماً.. وسيأتي طفلها الذي لم تدر ماذا ستفعل به وكيف سترعاه، وضعت طفلها وامتدت إليها ألف يد ويد لترشدها إلى ما تفعله حتى اعتادت فعل ما وجهوها إليه، وغريزة الأمومة تثمر بداخلها حتى تمكنت من قلبها ونبضاته، أنارته بمشاعر لم تعرفها من قبل، وجاء الطفل وجيء أيضاً بمن ترعاه.

أمام عينيها رأته يكبر ويضحك ويلعب، وأبوه يأتي ويدخل إلى مرسمه، وكل يوم ترى لوحة ملونة لا تفهم مضمونها، غير أن دموع زوجها تتساقط على اللوحة لتمزج ألوانها!! حاولت سؤاله

لماذا أنت صامت؟ فينظر إليها بوجه حزين ترتسم عليه تعابير لم يمكنها فهمها فيرد: اسألي أباك!! فتهز رأسها وتتركه يعاني ما يعاني فليس لديها ما تقول له غير أنها اعتادت توصيل أخباره لأخواتها فلا تجد منهن غير كلمات تناصبه العداء، فترجع إلى بيتها وتحكي له ما سمعت فتجده يبتسم ويغادرها، ليسجن نفسه كعادته بين لوحاته ودخان سجائره يعبق بالمكان، وكأن سيجارته التي يحرقها هي بئر أسراره.

تتركه وتجلس الساعات لتشاهد على الشاشة كعادتها كل ما يقدم أمامها، فعندها من يطبخ وينظف البيت ويلعب مع طفلها الغالي .. وتدعوها أختها من حين إلى آخر إلى بيتها كي ترى ما ردة فعل زوجها بعد اكتشافه الهوة السحيقة التي بينهما.

لا تستطيع أختها غير أن تداري وجهها وتدعو ربها بكلمات لا تسمعها إياها، بعدما كانت تسخر في السابق تهاوناً بها وبعقل لم يكن لها يد فيه ولا بعقليتها المحدودة.

كانت دائماً تسمع أباها يقول لها كلمات ما عرفت معناها !! لم تستطع أخواتها إخفاء تصرفاتهن التي توحي بشيء لا تفهمه ولم تجد منهن محاولات لمساعدتها، بل يتركنها لقدرها ويقفن ليشاهدن من بعيد ما سيصل إليه حالها!.

وجاء يوم، ورأت مرسم زوجها ينقص بالتدريج، كل يوم لوحة، حتى اختفت من الغرفة كل لوحاته، أين مكتبه؟ أين ريشته

وألوانه؟ ورائحته اختفت من هذا المكان، شيء غامض يحدث حولها، إلى أن جاء يوماً وأعلن رغبته في الانفصال، لم تدر ما تقول غير دموع انهمرت، وبها حاولت مسح أحزانها !! أيعني هذا أنها لن تراه ثانية بعدما اعتادت رؤيته وإن كان يسجن نفسه في ذاك المكان!؟ هرعت إلى منزل أختها ودموعها تبلل قلبها بمرارة الفراق المنتظر.

لم يأت أبوها وأخوتها ليصلحوا ما أفسدوا، بل تسمروا جميعاً في منازلهم وكأن ما حدث لها شيء ينتظرونه. جاءتها والدته وإلى قلبها ضمتها واختلطت دموعهن. وأسدل ستار حياة أسرية في ليلة قارسة البرودة، وولدهما نائم لا تدري والدته كيف ستجيبه غداً عن الغرفة الخالية بعد أن ذهب عنها والده ولوحاته!.

obeikandl.com

اختطف العصا من بين يديه، وانهال بها عليه ضربا وأذاقه علقة ساخنة ...

دعوة للتثاؤب!!

أعيته الحيل لم يدر ماذا يفعل؟ وكيف له أن يمر من تلك الحارة دون أذية يتلقاها من ذلك العملاق، الذي يكمن له في زاوية الطريق المؤدي لمنزله يومياً عند رجوعه من مدرسته، فيذيقه علقة ساخنة دون سبب، حباً في أذيته لإظهار قوته البدنية على ذلك الصبي الضعيف البنية. يخفي عن والده الشيخ الكبير آلامه فيتحمل الأذية وحده.

أخذ يفكر! يوجد طريق آخر ولكنه يبعد أمتاراً كثيرة عن منزله، يسلكه أحياناً عندما يخرج مبكراً من مدرسته في آخر أيام الأسبوع. أما ذلك اليوم فلم يكن على استعداد أن يسير كل تلك المسافة للوصول إلى منزله، فالجو حار جداً، أخذ يفكر في حيلة تساعده على الركض من أمام ذلك الصبي العملاق ومحاولة الفرار من العلقة الساخنة التي تنتظره!! فصاحب العصا والجثة الضخمة لن يرحمه من بعض من لسعاتها، يراه وهو يلوِّح له بها في الهواء مهدداً في حالة اقترابه من مدخل الحارة .

جلس بعيداً يفكر في حيلة تنقذه منه !! خطرت في باله خطة بناء على حديث كان بينه وبين والده منذ أيام مضت، وأراد أن يستغل محور الحديث لإنقاذ نفسه ! فطرأت له فكرة بدأ

ينفذها، ما كان منه عندما جاءت عينه في عين العملاق الظالم إلا أن تظاهر بالتثاؤب، وهذا جعل الآخر يبادله عدوى التثاؤب، وفي أثناء تثاؤبه انطلق مندفعاً كالسهم باتجاهه واختطف العصا من بين يديه، وانهال بها عليه ضرباً وأذاقه علقة ساخنة من مخزون بداخله على مدى عام دراسي كامل، أذاقه فيه طعم العصا التي عانى منها ودون ذنب اقترفه، غير أنه أصغر منه حجماً وليس سناً!.

انطلق متخذاً من خوفه الشديد قوة دفعته لأن ينتقم منه بالحيلة، وكان التثاؤب سلاحاً خدر به غريمه وانتصر عليه، واستوعب أن صغر حجمه لم ولن يؤثر على تفكيره، وأكد لغريمه أنه لولا وجود العصا معه ما تمكن منه. وبذلك انتصر على العملاق؛ لأنه لا يستعمل عقله في الخير بل يستعمل حجمه في ظلم جيرانه في الحارة الصغيرة.

obeikandl.com

ملأ الحب قلبها حتى نافسها فيه الهواء الذي تتنفسه، وملئت كل خلاياها بل كل ذرة في كيانها

طريق المأذون !

هل يمكن أن نغير عواطفنا ومشاعرنا ونتحكم فيها كتحكمنا في تغيير الأشياء من حولنا ؟ هل سنتمكن من تغيير الغش والخداع والقسوة في قلوبنا ووضع الحنان والحب والصدق مكانها؟ هل سنتمكن من تغيير الآلام التي نعانيها ونضمدها ببلسم يشفيها، هل يمكننا تعويض يتيم بأبوين يرعيانه في فترة طفولته ويعوضانه الحب المفقود؟ هل سيمكننا تبديل الحزن بفرح والتفاؤل بدلاً عن التشاؤم ؟ ونتفاءل عندما نكون يائسين بائسين؟.

أسئلة كثيرة لا يمكن الإجابة عنها.

تزوجته بعد أن تقدم وعرض عليها السعادة فوق صينية من ذهب، قال: إنه سيبدل حزنها فرحاً، والقسوة حناناً سيكون أباها وأخاها وعالمها كله، سيعوضها اليتم الذي عاشته، وسيكون التفاؤل دائماً صاحبيهما.

طارت به فرحاً، وكانت الدنيا لا تساع سعادتها، فقد ملأ الحب قلبها حتى نافسها فيه الهواء الذي تتنفسه، وملئت كل خلاياها، وكانت كل ذرة في كيانها تنبض بحبها له، حتى عيناها لم تكن ترى غيره أمامها ..

غفلت عن فهم الذئاب البشرية التي لا يعجزها أي شيء، فلا يوجد لدى تلك الذئاب أي مبدأ غير الحصول على الفريسة ولو عن طريق المأذون، وثقت به كما تثق الحامل بما في أحشائها، غمرته بكل حب يمكن أن تقدمه امرأة لرجل (أقول لرجل).

لم يخدع الفريسة فقط بل خدع العائلة كلها، كبيرها وصغيرها، كان يظهر كالحمل البريء، والوعود التي كان يأتي بها يومياً للصغار قبل الكبار كانت بالنسبة إليهم أملاً يمكن تحقيقه، و نزل عليهم كالغيث من السماء، اعتقدوا أن الحظ جاءهم ليذيقهم طعم السعادة التي فقدوها.

رضيت بكلمات خدرت أحاسيسها، واقتنعت بكل ما يقوله.. ولكن حبل الكذب قصير!! ظهر الذئب على حقيقته، التي لم يستطع إخفاءها مدة طويلة، وعند اكتشافه بأنها كشفت خدعه، أخذ يختلق الأساليب التي بها يمكنه أن يجلب التعاسة المُركزة على حياتها، جرعها التعاسة بمعانيها، وفر هارباً من كل نقاش، وأبدع في الهروب من كل من يستفسر منه عما يحدث، و كالزئبق استطاع الإفلات من أهلها الذين كان الذهول يلفهم بأسئلة ليس لها إجابات، وكان كالكابوس الذي جاءهم في المنام، وجثم على قلوبهم، واستمرت آثاره فترة طويلة، كلما تذكروا وجه الخداع وأيامه واستغلاله لهم بكل الطرق.

ولكنه نسي أنه، ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع، وسيقع يوماً ما قريباً أو بعيداً في الحفرة التي صنعها لغيره ولو كانت عن طريق المأذون .

وصدق الشاعر عندما قال:

أجبت: يا دنياي من تخدعين؟ إني امرؤ ضاق بهذا الخداع

مزقت عن عيشي هني السنين لأنني مزقت عنك القناع

obeikandl.com

تشوقت لرؤيتهم وكنت متشوقة بوصول الصور إلي، وجاءت اللحظة ورأيتها وكم كانت دهشتي؟!

ظلم بني الانسان !

علامات إعجاب وثناء وإطراء! تصدر من مجموعة نساء، تداولن صوراً من يد لأخرى، دموع تترقرق في عيني إحداهن وتجففها بظهر يديها، دهشة تظهر على الوجوه! وحب يظهر من خلال تعبيراتهن، تأوهات عن آلام البعد والفراق، شكر في أصحاب الصور المخلصين، كم هم أذكياء وكم هم أوفياء، أغنوها عن العالم كله.. فصحبتهم لا يوجد مثيلها، وأحضانهم الدافئة خالية من النفاق فهم يعوضونها عن العالم كله.

تشوقت لرؤيتهم وكنت متشوقة بوصول الصور إلي، وجاءت اللحظة ورأيتها ولكم كانت دهشتي فهي صور لكلب وقطة "! ما أجملهما في نظرها!" قطة سوداء تتصدر المكان وتتخذ أوضاعاً مختلفة بدلال واضح عليها، صورة فوق المقعد، وأخرى تحت الطاولة، وتنظر إلى عين الكاميرا وكأنها تشكر حظها الذي أوقعها بين قوم يحترمون الحيوان وينفقون ملايين الدولارات للدفاع عنه ورعايته!.

متخيلة نفسها مكان طفل فلسطيني أو بيت في فلسطين فبذلك ستكون تحت أنقاض الأنقاض! ولكن بالعيش مع هؤلاء القوم، الذين يحملون قلوباً عطوفة، حنونة تتأثر على حيوانات

ضعيفة لا تملك غير جمعية الرفق بالحيوان!!! والتي تقوم بعملها على أكمل وجه بالدفاع عنها، نحو أي ظلم يقع عليها، "هؤلاء المقدرون لقيمة الحيوان"، فتجد القطط والكلاب وبكل ثقة تترك زمام أمورها لهؤلاء البشر المخلصين جداً ليرعوها، ويطعموها من أفضل ما يأكلون، ويدافعون عنها ضد قساة القلوب من البشر الظالمين..!

عينات من البشر أُغلقت قلوبهم عن بني البشر من أمثالهم؛ ولكن (في فلسطين) يعانون من الاضطهاد والاحتلال والقتل والسلب والنهب في عقر دارهم، بكت عيونهم على حيواناتهم البعيدة عنهم ، غير عابئين بما تعانيه الأمهات في فلسطين من فقدان فلذات أكبادهن وأزواجهن تحت وطأة الاحتلال الغاشم الذي يسعى لإبادة شعب بكامله !! والعالم يتفرج على ما سيحدث عقب النكبة التي أصابت اقتصاداً يمكن تعويضه في أي لحظة أرادوها، بل يخترعون الطرق التي يمكنهم بها تعويضه !. سبحان الله.

تسير وتسبقها دموعها حسرة على فقدان حنان لن يعود، دفن مع والدها وتركها لمصير لا يعلمه إلا الله

عذاب الحرمان ..!!

علا صوتها بالصراخ حتى اخترق جميع الأبواب المغلقة، ووصلني وشعرت بنياط قلبي يتفطر ألماً، أخذت أبحث في أدراج مكتبي، لعلني أجد لعبة أعطيها لتلك الطفلة لتشغلها عن آلامها .. ولكنني لم أجد شيئاً فقد نفذت جميعها، ذهبت إليها كي أساهم في التخفيف عنها مع الممرضات .. وإذ بي أمام فتاة في العشرينيات تعاني من مرض ألم بها، ووزع قسوته على عظام جسدها النحيل، مما أطلق صوت الطفولة يدمي من شدة الألم، اقتربت منها وأخذت أهدئ من روعها حتى استجابت لي وبدأت الحديث معها، أخرجت ما في جعبتها بدموع تكاد تحرق وجنتيها .. حكت لي بحزن شديد وغصة تغلف مشاعرها وتعبر عن عذاب نفسي تمر به، فقد توفي والدها، غاب الصدر الحنون الذي يواسيها في مرضها، فوالدتها تميل إلى الأولاد، أما البنات فلا يشكلن في حياتها شيئاً، ولا تقوم على خدمتها في أثناء مرضها وتتركها تذهب إلى المستشفى لتلقي العلاج بصحبة السائق، الذي لا تستطيع أن تطلب منه المساعدة في توصيلها إلى مكان العلاج، في داخل المستشفى، تسير وتسبقها دموعها حسرة على فقدان حنان لن يعود، فقد دفن مع والدها وتركها لمصير لا يعلمه إلا

الله!! لا فطور تتناوله ولا مساعدة في الملبس تقدم لها، وتعاني معاناة شديدة عند اقتراب موعدها مع الطبيب، لتجهز، قالت إنها تتمنى الموت لعلها تجد فيه راحتها!!. هي لا تعارض والدتها في أن يطغى حب الصبيان في قلبها على حب البنات، ولكنها تريد العدل في تعاملها مع الجميع، فهي بحاجة إليها أكثر من أي منهم.

كيف يمكن لهذه الفتاة من تحقيق تلك الأمنية التي أصبحت صعبة المنال؟

لقد تعجبت كثيراً من موقف الأم التي نزعت الرحمة من قلبها، ومن تفضيلها الذكور عن الإناث، كيف أغلقت قلبها عن أمومة زرعت فيها عند تكوينها؟ فمن صبرت على حملها تسعة أشهر، وتحملت تعبه، هل يعقل أن يعميها حب الصبيان عن واجبها تجاه فلذة كبدها!! تلك الفتاة الضعيفة المريضة، ولا تصبر على مرضها ولا تقوم بمساعدتها وتتركها لعذاب الحرمان من عاطفة تحتاج إليها من أقرب الناس إليها! لمن تلجأ إذاً ؟ حاولت أن أبحث عن عذر لتلك الأم لتبرير موقفها من ابنتها، فلم أجد.. فكيف لهذه الأم ألا تتألم لآلام ابنتها، التي أذاب صراخها قلوب الجميع حتى ظننتها طفلة صغيرة، تنادي وتستجدي من يعطف عليها؟!

ولكنني وبمجرد أن أعطيتها بعض الاهتمام والحنان، وجدتني قد خففت كثيراً من آلامها، فإن معظم آلام البشر تنبع من قسوة الآخرين، وإذا كانت من الأم فهي أشد ألماً ومرارة.

اندفعت وراءه دون أن تنتبه إلى الباب الذي دفعه خلفه في غيظ، مما جعلها تصطدم به وكادت أن تقع على الأرض

قلب بلا قلب!!

كان يسير أمامها حاملاً حقيبة صغيرة في يده، غير مبال بتلك التي كانت تسير وراءه، تحمل طفلة مريضة بين يديها وتضمها إلى صدرها، تلك المرأة المسنة التي قاربت السبعين من عمرها؛ فسنوات عمرها ترتسم على يديها الضعيفتين ! فتجدها تارة تتعثر في عباءتها في محاولة لإصلاحها فوق رأسها وتارة أخرى بخطواتها المرتعشة.

تقدمت إليه وطلبت منه أن يحمل الطفلة عن أمه، ويعطيها الحقيبة الخفيفة لتحملها هي عنه رأفة بشيخوختها ورحمة بحالها.. بتذمر وضع حقيبته فوق مكتبي، وتناول الطفلة التي لا يتجاوز وزنها اثني عشر كيلو جراماً! أخذ الطفلة واتجه إلى الباب مقطب الجبين متذمراً، ترك خلفه أمه التي نظرت إلي وفي عينيها تعبير أقوى من أي كلمات.

كانت عيناها مليئتين بالدموع، لا يعلم الناظر إليها إن كانت حزناً على الطفلة التي يئس الطب من علاجها ! أم كانت من قسوة ذلك الابن ذي القلب المتحجر! اندفعت وراءه دون أن تنتبه إلى الباب الذي دفعه خلفه في غيظ، مما جعلها تصطدم به، وكادت أن تقع على الأرض، لولا أنني قفزت من مكاني كي أمنع وقوعها،

احتضنتني وضمتني إليها بحنان وأخذت ترتعش من الانفعال ولسان حالها يتحسر على ما آلت إليه شيخوختها، ترقرقت الدموع في عيني ولم أدر ما أقول.

دار بذهني شريط من الذكريات المؤلمة، فكم من منظر رأيته كان مماثلاً لذلك، مثيراً لتساؤلات أخذت تختزن في ذاكرتي في انتظار أن أجد لها تفسيراً ! وتمثل أمامي منظر سيدة رأيتها تبكي على طفلها الذي أصيب بمرض خطير، وكانت كل أمنياتها أن يشفى ولو ضحت بحياتها في سبيله.. وأخرى يشقيها ولدها المراهق الذي لا يتوانى عن الإساءة إليها في كل يوم يمر! وعلى الرغم من ذلك تجدها تبكي من أجله وتدعو له بالهداية !! أما ما وصل إليه حال تلك المرأة التعيسة فلا يستطيع قلمي التعبير عنه، ولا تستطيع ذاكرتي نسيانه!! فهذا الذي يضرب أمه إذا رفضت إعطاءه مبتغاه، ويغلظ لها القول دائماً في حين أنها تخشى عليه بطش والده وإن كانت مخطئة! خوفاً من حرقة قلبها عليه؛ وكان قلبها يتفطر عليه حسرة مما ينتظره من عذاب ربه، الذي تعلم بأنه ينتظره في الدنيا قبل الآخرة !! .

وبعد.. تلك كانت صور مؤسفة تمر بها بعض الأمهات.!

كأن صاحب المطعم قد وظف تلك النوعية من المقاعد غير المريحة، لغرض في نفس يعقوب

مطاعم..مطاعم!!

تجلس في "بعض" المطاعم الشهيرة وأنت سعيد بالأجواء المحيطة بك، فهي هادئة ومريحة، وجوها يخيم عليه شعور يبعث الراحة في النفس، ديكوراته تفتح الشهية للحديث والأكل، وتتمنى أن تقضي أوقاتاً ممتعة، تستمتع فيها بساعتين تقضيهما بعيداً عن روتين البيت الممل والمتكرر دائماً، ولا يطول الوقت حتى تكتشف أن المقعد ذا الألوان الجذابة الذي تجلس عليه غير مريح على الإطلاق وليس سعيداً بك! بل يود أن يقذفك خارج المطعم في أقرب فرصة ممكنة، كي يأتي زبون آخر يجلس مكانك، ويدفع المبلغ المعلوم وهكذا ! كأن صاحب المطعم قد (وظف) تلك النوعية من المقاعد غير المريحة، لغرض في نفسه، قد كشفت عنه المقاعد نفسها! بصفتها (جماداً) لا تستطيع كشف سره إلا بصمت ! ولا تجد أنت غير الصبر على قلة الراحة التي تعانيها على ذلك المقعد من أجل تحليل المبلغ الذي سوف تدفعه فيما بعد، و تحاول تجاهل ذلك الشعور المرهق على مضض.

إلى هنا والوضع مقبول نوعاً ما !! أما عندما يأتي (النادل) بقائمة الطعام التي تحمل من أسماء الأصناف ما لا تستطيع فهمه مما يضطرك إلى سؤال النادل عن مضمون الصنف الذي أعجبك

اسمه ، فيبدأ الشرح بلكنة إنجليزية (مبهرة بالكاري) يسيل لها لعابك من طريقة وصفه، وتقديمه شفهياً، وهذا يجعل عصافير معدتك تصرخ مللاً من الانتظار، وتحلق في أجواء بطنك في انتظار الطعام الموعود!

وبعد أن تبدأ في تناول المقبلات التي اخترتها مجاملة (للنادل)، (ذلك لزوم الإتيكيت) في تناول الطعام بالطريقة (المستوردة)! وعندما تلمح النادل قادماً في اتجاهك تشعر بعصافير بطنك وقد احتشدت في أماكنها على فوهة معدتك، في انتظار بدئها بالأكل! يقترب منك وابتسامة عريضة تكسو وجهه، واضعاً أمامك صحناً يقبع في وسطه شيء يطلق عليه طعام!! مزين بطريقة تكفي عينيك فتشبعان منه! أما عصافير بطنك فتتقهقر راجعة من حيث أتت وتجلس "تزقزق" في مكانها في انتظار عطفك عليها بشيء آخر يسد رمقها!! وهذا يدفعك إلى طلب المزيد ثم المزيد، وتكتشف في النهاية أنك تدفع من مالك ثمن المكان النظيف والجلسة الحالمة الهادئة، وليس ثمن الطعام الذي ذُقت عينات منه في تلك الأطباق التي مرت عليك، وترجع إلى بيتك وأنت تكرر: (ثلث للطعام وثلث للماء وثلث للهواء)! وكأن صاحب المطعم يجبرك على التقيد بتنفيذ تلك النصيحة الغالية على يديه من أجل صحتك التي تهمه!!

ولم تمض ساعات قليلة حتى تم اكتشاف المخبأ! ووجدتها تسير أمامي كالتمثال المتحرك ورأسها الصغير ملىء بلفافات الشعر في عشوائية مضحكة ...

المنافسة الصغيرة!

كانت تنظر إلى أحمر الشفاه الذي كان في يدي، وتراقب كل حركاتي وسكناتي، كنت أتابعها من طرف عيني فلمحتها وهي تحاول تحريك رأسها في اتجاهات مختلفة، وهي تنظر إلي وتتابعني بعينيها المندهشتين، وكأنها تطبعها في عقلها الصغير إلى حين استرجاعها في الوقت المناسب، وبعينيها الصغيرتين تنظر بحذر خوفاً من أن يفوتها شيء منها! فأراها وهي ترفع حاجبيها في محاولة لتثبيت المعلومة في مخيلتها بتعجب لذلك اللون الأحمر الداكن، الذي أثار غريزتها في حبها لاكتشاف شيء جديد في عالمها! وكأن فكرة قد طرأت في رأسها الصغير، وضعت أشيائي فوق تسريحتي وخرجت من غرفتي وهي تجري خلفي، ساحبة ثوبي في محاولة لأن تقول لي شيئاً ما! رفعت رأسها إلي ومدت فمها ضامة شفتيها تريد تقبيلي، ضحكت من منظرها الذي أثار الحب العميق في قلبي نحوها.. فحملتها وضممتها إلى صدري، وطبعت قبلة على شفتيها فوجدتها تحاول التخلص من بين يدي، ثم جرت إلى المرآة ضاحكة بسعادة بالغة من ذلك اللون الذي أعجبها، وقد نالت بعضاً منه على شفتيها القرمزيتين؛ فأضاف لمسة ساحرة أخرى على تلك البراءة الطبيعية.

انشـغلت بعض الوقت ثم نظرت خلفي فلم أجـدها ! ذهبت أبحث عنها ! فوجدتها تقف في مكاني نفسه أمام تسريحتي مع "فارق الطول والعرض" يداها الصغيرتان تبحثان عن شيء ما؟ لعله قلم (الشفاه أو الحمره)! حملتها وخرجت أداعبها وأدغدغها لعلي أنسيها ما تنوي فعله ونجحتُ في ذلك.

اشتريت لفافات الشعر التي لا تحتاج إلى دبابيس وأخفيتها في غرفتي لعلي أنجح في إخفائها عن منافستي الصغيرة، ولم تمض ساعات قليلة حتى تم اكتشاف المخبأ!! ووجدتها تسير أمامي كالتمثال المتحرك ورأسها الصغير مليء بلفافات الشعر في عشوائية مضحكة وهي تحاول ألا تحرك رأسها لئلا تنزلق من شعرها! فهي لم تكتشف بعد نقطة الضعف فيها، حتى تتمكن من معالجتها، وكان وجهها الطفولي البريء بتعابيره العذراء يوحي لمن يراها بمنظر (كاريكاتيري) مضحك للغاية، أخذت أراقبها، وأخفيت ضحكة كاد يرن صداها في أرجاء البيت الخالي إلا مني ومنها، وآثرت أن أتركها في محاولتها للاكتشاف، لأرى إلى أين سينتهي مصيري معها، وبعد عدة أيام اكتشفت اختفاء لفافات شعري جميعها! فقد حازت على إعجابها فدفعها ذلك إلى مصادرتها ودون استئذان، وهكذا هن بناتنا أمامهن الكثير ليتعلمنه من متطلبات الأناقة لدى حواء.

مراحل انتقال الطفولة إلى سن المراهقة التي يمر بها أبناؤنا من الإناث والذكور تحتاج إلى معالجة من نوع خاص، لا تكلف الكثير بل تكاد أن تكون تكلفتها عدة دقائق مجانية كل يوم ...

نحن لم نُخلق كباراً !؟

على الرغم من وجود الفضائيات وما تحمله من تطور، وعلى الرغم من انتشار الكتب بوفرة في كل المكتبات ورخص أسعارها التي في متناول الجميع، بالرغم من وجود متخصص في الطب وعلماء الدين والدفاع المدني على شاشات التلفزيون للإجابة عن أسئلة السائلين وتوجيه النصح والإرشاد، على الرغم من ذلك نحتاج إلى المزيد من الوعي، الوعي الذي سيوفر الكثير من الجهد والخسائر مستقبلاً، الوعي في تربية أبنائنا وبناتنا، الذين هم رجال ونساء المستقبل أين كنا؟ وإلى أين وصلنا نحن الكبار؟ .. نحن لم نُخلق كباراً .

مراحل انتقال الطفولة إلى سن المراهقة التي يمر بها أبناؤنا من الإناث والذكور تحتاج إلى معالجة من نوع خاص، لا تكلف الكثير بل تكاد تكون تكلفتها عدة دقائق مجانية كل يوم، بل في كل موقف يحتاج إلى ذلك.. دقائق ينفقها الأب أو الأم، الجد أو الجدة في التوجيه والنصح والإرشاد، لا في التأنيب والتوبيخ والنهر والقسوة، كالتي قسا بها عليها أبوها فبحثت عن حنانه في كل الرجال، فوجدت الحنان وضاعت من نفسها، أو غض النظر عن الأخطاء والتدليل المبالغ فيه الذي ساق شبابنا إلى إدمان

المخدرات وانتهى بهم خلف القضبان !! سهام موجهة ومصوبة إلى المراهقين من الجنسين، إعلان عدم الثقة بمجرد خطأ وقع فيه الفتى أو الفتاة، نسوا أن الإنسان يتعلم من الخطأ، وبالتوجيه السليم وبعض الحكمة يمكن أن نضيء لهم الطريق.

عدم التعلم أو نيل الشهادات لدى بعض الآباء والأمهات لا يعني الجهل، فتجارب الحياة إذا استغلها الإنسان بذكاء يمكن أن توازي التعليم في أهميته، فلنتذكر جداتنا ونستفيد من خبرتهن في تربية أبنائنا. فبدلاً من استجلاب المستوردات من العاملات اللائي تمتلئ بهن بيوتنا، للقيام بأعمال المنزل، أعطيناهن صلاحيات أكثر بكثير مما أتين لأدائه، فأصبحن هن الأمهات، والآباء، والمرشدين، والموجهين، ولكن لعادات غير عاداتنا، ومبادئ غير مبادئنا، وتداخلت الأفكار ببعضها وامتزجت وأخرجت مفاهيم وأفكاراً ليس لها قواعد لدينا، ماذا كانت النتيجة؟ الانهيار العائلي والاجتماعي، الذي ضاعت على يديه كل راحة كانت تشمل الجميع، يوم كانت الجدة هي الموجهة الصادقة التي كانت توجيهاتها تنبع من أصل عريق، مليء بكل القيم والأخلاق والعادات الموروثة عن أفضل خلق الله رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم. ليت عهدهم يعود ثانية أو نسير على خطاهم، أيها العقلاء.

كثيرا ما نمر بساعات إحباط وهم وغم تأخذنا من أحلامنا إلى واقع مؤلم مظلم نعتقد بأنه لا مخرج منه ولا قبس من نور يأتي من خلاله يعيد إلينا الأمل الذي كنا نعيش من أجله...

إلى أن تغلبنا الأيام

عبارة تمر بأسماعنا دون أن يلتفت إليها الكثيرون «إلى أن تغلبنا الأيام» هل نقصد بها إلى أن تنتهي حياتنا ونذهب بلا رجعة من هذا الوجود، من هذه الحياة التي لا يخلو من المعاناة فيها كائن حي، إنسان أو حيوان، إلى أرض تخفينا وتدفننا في أعماقها، يتذكرنا الآخرون لأيام ثم نصبح في عالم النسيان نريح ونستريح.. ليس تشاؤماً بل حقيقة نعلمها جميعنا، وكثير ممن يعانون مما يجود عليهم به الآخرون من أنواع العذاب والتنغيص والتعكير والتنكيد المستمر، الذي يؤكد به دفن السعادة في أيامنا التي كنا نعتقد بأننا نعيشها بسهولتها؛ وإذا بنا نعيش حقيقة لا يستطيع إخفاءها إنسان، ولا تعود علينا إلا بدفن يوم من حياتنا لن يعود أبداً!!

وكيف للأيام أن لا تغلبنا وهي دائماً المنتصرة على الرغم من أننا لا نتوانى عن ظلمها، وننسب إليها أنها هي التي تجمعنا بمن يثير المشكلات في حياتنا ونكره يوم تألمنا فيه وعانينا؟ وهل يمكن فعلاً ألا تغلبنا الأيام على الرغم من تجاهلنا للثواني والدقائق التي تمر بنا ولا تعود؟. وفي حساباتنا أننا قد انتهينا منها، ونغمض أعيننا عن أن الأيام هي التي انتهت من بعض حياتنا وقصرتها، ودائماً يكون العد تنازلياً فمن يكون الغالب هنا؟

كثيراً ما نمر بساعات إحباط وهم وغم تأخذنا من أحلامنا إلى واقع مؤلم مظلم نعتقد بأنه لا مخرج منه ولا قبس من نور يأتي من خلاله يعيد إلينا الأمل الذي كنا نعيش من أجله.. ولكن لحسن الحظ أن الإيمان الذي يملأ قلوبنا هو المنقذ الوحيد لزرع الصمود والجلد والصبر في نفوسنا، التي من آفاتها الضعف واليأس الذي سريعاً ما ننتصر عليه باللجوء إلى الله وباسترجاع ذكريات كان الله يحيطنا فيها برحمته، تمسح في طريقها الآلام النفسية التي نمر بها من حين إلى آخر؛ لتزرع مكانها الرضا بقضاء الله خيره وشره.

والذين يحبون تنغيص حياة من يحبونهم باعتقادات ومفهومات خاطئة أذكرهم بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الهّم نصف الهرم» وقول المتوكل الليثي:

والهم إن لم تمضه لسبيله
داء تضمنه الضلوع مقيم

ودون أن أجد أي تفسير لتساؤلاتي التي احتفظت بها في نفسي تحولت عيناي إلى اتجاه الغرب وأخذني منظر غروب الشمس التي خلبت بجمالها عقلي وقلبي ...

الصيـــاد

كان يجلس عند نهاية الشاطئ الرملي في مواجهة الغرب! وظله يتكسر فوق الصخرة التي تتدلى منها ساقاه وتتلاطم فوقها الأمواج بحنان! فقد احتضنت الصخور المجاورة شدتها وامتصت سرعتها قبل الوصول إليه! وأخذت تتحمل صدمات العنف التي تتلقاها من الأمواج التي لا تهدأ، تلك الصخور التي اعتادت أن تكتم أسرار صائدي السمك وتحفظ أغانيهم التي يترنمون بها عند انتظارهم لصيدهم الثمين.

كنت أراقبه من بعيد، ورأيته عندما ألقى بصنارته في الماء، ثم جلس بهدوء وتأنى في انتظار الرزق! وكل موجة تأتي أتخيل أنه قد آن الأوان لكي تعلق السمكة بالطعم اللذيذ المتدلي أمامها بشهية! ولكن مرت ساعة وراء أخرى ولم تأت السمكة المنتظرة.. وتلك الابتسامة ما تزال تعلو شفتيه، وقد اعتقدت أن ابتسامته تلك ربما تدل على تخيله السمكة في المقلاة تطهى وبجانبها قدر الأرز الذي تفوح رائحته مختلطة برائحة السمكة التي يسيل لها اللعاب «لعاب الجائع»! أو أنه لا يعبأ أصلاً بالصيد بل هذه طريقته ليربط نفسه بالبحر الذي تشبه أمواجه انقلاب الأيام التي يعيشها! فهذه موجة تأتي من بعيد مندفعة بقوة الرياح التي

تثيرها ولا تهدأ حتى تتكسر فوق أقرب صخرة تصادفها! وأخرى تأتي على مهل وترتد راجعة من حيث أتت خوفاً من الهزيمة التي لا تقبلها وتفضل السلام على العنف! وغيرها تفضل أن ترتمي في أحضان الشاطئ الذي يظل دائماً في انتظارها لتحتضن رماله لفترة تكفي لغسلها من آثار المارة في إصرار على تركها ملساء كما يريدها هذا البحر المحيط بالفضاء الشاسع!

تساءلت ما سر هذه الابتسامة التي ظلت مصاحبة له كل تلك المدة؟ هل ترسمت فوق تضاريس وجهه وطبعت عليه مع مرور الزمن الذي اكتشف أنه من العبث أن يعبث فيه بوجه أضاف الله عليه السكينة والاطمئنان؟! فما هي يا ترى السعادة في نظره؟

ودون أن أجد أي تفسير لتساؤلاتي التي احتفظت بها في نفسي تحولت عيناي إلى اتجاه الغرب، وأخذني منظر غروب الشمس التي خلبت بجمالها عقلي وقلبي وهي منعكسة فوق سطح المياه التي هدأت أمواجها عند الغروب؛ لمشاركة عشاق الطبيعة في الاستمتاع بأجمل لوحة ترسم عليه! وأخذت الشمس تختفي تحت الأفق مسرعة وكأنها على موعد مع بحر آخر وعشاق آخرين! تملكني الحزن وكدت أستعطفها كي تبقى معي لفترة أخرى ولكنني وعدت نفسي بلقائها في نفس الموعد في الغد! ثم أدرت رأسي كي أرى ماذا حدث للصياد، وبكل أسف كان قد اختفى ولم يعد هناك؟ وفضلت أن أحتفظ بما يملأ رأسي من تساؤلات لصياد آخر يوماً ما.

ونزلت عبرتك التي أخفيتها وراء ابتسامة يعجز القلم عن أن يصفها، وأخفيت وجهك تحت ملاءتك البيضاء ...

وضحـــى

دخلت عليك غـرفـتك وأنت ترقـدين على سـريرك الأبيض، وابتسامة تعلو شفتيك صافية كصفاء وجهك البريء، الذي يطغى نوره عليـه ليظهـره كـوضـوح اسـمك، كنت تحـاولين بهـا إخـفـاء دموعك التي تحتبس في مقلتيك، تحدياً منك على ألا تتركيها تفـر من عـينيك ألماً وحـزناً على عـزيز افـتـقـدته.. أخـفـيت عن الجـمـيع جـروح قلبك التـي كانت تنزف خـوفاً من اعتقـادهم أنك تستدرين عطفهم، كنت تتمنين أن يسمح لأختك بأن تبقى معك تشـاركك حـزنك لعلهـا تسـتطيع التـخـفـيف عنك بعض الشيء.. فمأساتكن مشتركة.

ولكنك لم تستطيعي إخفاءها عني؛ فتلقيتها رأساً كسهام حارقة مـوجهة إلى قلبي الذي شعر بك مثلما شعر بابنتي يوم فـقـدت أباها (زوجي) وتمثلت أمـامـي الأحـداث في شـريط سينمائي يأبى إلا أن يكرر عرضه في خيالي في كل مناسبة مؤلمة تمر بي، حـامـلاً مـعـه دقـائق الآلام، وكـأنهـا وقـعت لي بـالأمس القريب وجعلتني أتذكر تلك الفترة التي وجدت نفسي فيها بدون شعور أن لي أكثر من ساقين تحملاني فأجرى في كل اتجاه وراء أطفالي في محاولة لتهدئتهم، وأكثر من يدين تمتد لكي أن تضما

كلاً منهم لعلي أستطيع امتصاص آلامهم التي ربما لم يشعروا بها مثلي؛ وذلك بسبب حداثة أعمارهم، وكان قلبي يحنو ويدمى مع كل فرد منهم.

فهمتك يا وضحى... ثم اعترفت لي بفقدان والدك منذ أسبوع واحد فقط وهو يؤدي صلاته في غرفته.. ونزلت عبرتك التي أخفيتها وراء ابتسامة يعجز القلم عن أن يصفها، وأخفيت وجهك تحت ملاءتك البيضاء التي شاركتني في التخفيف عنك.. لم أنس يا وضحى كم كبرت في نظري بل في نظرنا جميعاً... وتمنى الجميع بعد أن نقلت لهم ما ألم بك أن يكون لديهم المقدرة على غسيل قلبك من الحزن مثلما هم يغسلون دمك من المرض.

لقد أثبت لك ذلك الموقف قوة إيمانك وشجاعتك في محاولتك لتحمل الألم النفسي وحدك كما يتحمل جسدك الضعيف المرض وحده.. وخرجت منتصرة على الهزيمة وانتصرت على الضعف في داخلك مؤمنة بقضاء الله واثقة من شفاء نفسك الطاهرة من الحزن كشفاء جسدك بإذن الله من المرض.. وأشكرك على رسالتك الرقيقة التي حفرت كلماتها في قلبي مكاناً لن يمحى ما حييت.

ثم يحلو النقاش وتقترب ساعة الدوام على الانتهاء، فيبدأ الأعضاء بالتسلل تاركين خلفهم من يهمه الحديث ...

اجتماع ومجتمعون!!

اكتمل العدد وبدأ الاجتماع بعد ظهر آخر يوم من أيام الأسبوع المرهق، كل يجلس واضعاً أوراقه أمامه، وإذا أمعنت النظر إلى كل عضو من المجموعة في أثناء النقاش ستجد، شخصاً يجلس متكئاً بكوعه على طاولة الاجتماعات ورأسه تسندها كفه، يراقب بعين تتحرك في كل اتجاه، متابعاً الحديث والمتحدثين، وآخر يجلس مسترخياً على مقعده بتعب شديد، فهذا الاجتماع يعقد في آخر نهار من كل أسبوع بعد عمل يوم شاق، وبعد نفاد طاقاته ولم يبقى لديه قوة إلا ما توصله إلى سيارته كي يذهب إلى منزله! وثالث يدون كل ما يشعر بأنه مهم ويحب التوسع فيه فيما بعد، وغيره يفرك عينيه في محاولة لطرد نوم يتسلل إلى أجفانه متخيلاً سريره المريح، بعد وجبة عشاء دسمة هذا إذا كان فيه رمق لتناوله فتجده يحرك رأسه بين حين وآخر كي يصحو من أحلامه التي يعلم أنها أحلام اليقظة، وآخر يخرج من حقيبته كمية من الحلوى يوزعها على الموجودين في محاولة منه لتزويدهم بقليل من الطاقة تعينهم على تفتيح أدمغتهم لما تبقى من وقت.

وبين حين وآخر تنطلق (أجهزة) النداء الآلي لتعلن عن نداء لأحدهم فيترك مكانه مسرعاً فرحاً بهروبه لتجديد نشاطه! ثم

يعود بعدها مبتسماً ليواصل اجتماعه واستماعه، قبل أن يثقل رأسه كزميله الذي غط في نوم عميق مستجيباً لذلك الرأس المتعب، ضارباً عرض الحائط بشعور رئيسه الجالس أمامه! فكما نعرف أن النوم سلطان، بجانب أن رئيسه يكلفه دائماً بعمل متواصل لا يمكنه فيه من التزويغ ليتأكد من أنه يحلل راتبه وصحته! وآخر يتكئ بكوعه على طاولة الاجتماعات، وإحدى يديه تعد شعرات ذقنه البيضاء التي تقص عليه ما فعلته به السنون متذكراً قول الشاعر: «عيرتني بالشيب».. وغيره يخلع نظارته بين فترة وأخرى ويمسحها بمنديل يلتقطه من العلبة الموضوعة أمامه، وكأنه يتحدى أطباء العيون ونجاحهم الباهر في عمليات الليزك وقبلها الليزر لإراحته من تنظيف النظارة، فسيظل يرفض ويرفض، فمهما كلفته النظارة من مناديل وغسيل يومياً فستكون أرخص بكثير من ذلك المبلغ الكبير، أما ذلك الذي أخذت الابتسامة اسمها من ابتسامته التي اعتقد بعضهم أنها رسمت بيد خبير في عمليات تجميل لشد الفم باتجاه الأذنين! ويعتقد الآخرون بأنه يسخر من الجالسين ونقاشاتهم التي لا تنتهي أسبوعياً ولا يستطيع إخفاء ضجره إلا بتلك الابتسامة.

وهناك آخر عندما يبدأ بالكلام تجد النائم قد استيقظ والشارد قد ركز واتجهت أذناه للمصدر المتكلم، ومن كان يشغل فمه بمضغ العلكة تقف العلكة بين أسنانه، حتى لا يفوته حرف وتنعقد الحواجب في استفسارات مسبقة لما يمكن أن يقوله ذلك

المتحدث الذي يملك زمام الأمور في مثل تلك المواضيع الجدية، ثم يحلو النقاش وتقترب ساعة الدوام على الانتهاء، فيبدأ الأعضاء بالتسلل تاركين خلفهم من يهمه الحديث، وبعد قليل يتوقف النقاش ويقفز من تبقى منهم وكأنهم سهام موجهة ناحية الباب وكأنه لم يكن هناك نعاس ولا ملل ولا ضجر ولا شرود!!

opeikandl.com

كنت أراها كعارضات أزياء يتنافسن أمامي لاستمالتي بشراء ما يرتدينه من موديلات. كانت كلها تجذبني لأقتنيها، ولكن هيهات فهذه أمنية صعبة المنال!!

عمالقة فوق أهرامات؟!

أجمل لحظات يومي هي التي أقضيها داخل مكتبة عامة.

شدتني خطواتي ذات يوم إلى مكتبة كبيرة في إحدى الدول الغربية، دخلتها ووقفت مبهورة أمام كمية الكتب التي كانت ترص فوق أرففها العالية، كانت تختلف عن كل المكتبات... شملني شعور غريب سرى في كل ذرة في كياني، أبهرني تنظيمها والقائمون عليها... تدفقت عبراتي دون تحكم مني في إيقافها، لم يكن انسيابها إلا تعبيراً عن ما يحدث في عقلي من تفاعلات وأفكار كثيرة يصعب ترتيبها، وكأن أفكار الدنيا كلها جاءت لتشاركني هذا الاحتفال الفريد.؟!

شعرت كأنني قد وقعت على كنوز يصعب حصرها! لفني إحساس جميل كأنني أسيح في جميع أقطار الأرض في آن واحد من موقع واحد، ففي دقائق بسيطة يمكنني التنقل من عالم إلى آخر، إذا أمسكت بكتاب أشعر بأنني قد ألقيت القبض عليه، أمسكه بحذر خوفاً من سقوطه من بين يدي، متخيلة الأحرف وقد تناثرت منه لتشكل هرماً عالياً، وأن كل الكتب المحيطة بي قد انقلبت إلى أهرامات شامخة يجلس فوق قممها كتبتها المبدعون، يمسك كل منهم في يده قلماً يخط به ما في عقله من

حروف معدودة، فينتج بها كلمات يشكلها حسب تخيلاته، كلمات تنبئ عن مولد لكتاب جديد. ثروات لا يمكن حصر قيمتها تتكدس هنا وهناك!. أمسكت بكتاب استهواني عنوانه وضممته إلي في محاولة لا إرادية متمنية أن أجذب كل مكنوناته بمغناطيس خفي، اعتقدت أنه يحتل مكانه بقربي بل في قلبي! تمنيت حدوث ذلك فعلاً بأن تكون لدي المقدرة على امتصاص كل ما بداخله بل ما بداخل كل الكتب التي أراها أمامي شغفاً بالمعرفة وحباً فيها. كنت أراها كعارضات أزياء يتنافسن أمامي لاستمالتي إلى شراء ما يرتدينه من موديلات. كانت كلها تجذبني لأقتنيها ولكن هيهات فهذه أمنية صعبة المنال.

أخذت أتجول بين الكتب لاختيار المزيد منها، هذه كتب في الشعر تحكي قلوباً تعذبت من لوعة الحب وألم الفراق، وأخرى في الأدب الممتع الذي تكشف عنه أكثر لغات العالم، علوم الكون والطبيعة، قصص يروي كتابها أحداث حقيقية منقحة بخيال خصب يقدم عطاء غزيراً يسبح في عالم الخيال، والأمنيات وغيرها كثير.

واتخذت قراري أخيراً في ذلك اليوم لشراء بعض الكتب عن ترجمات حياة الكتاب والعلماء لأكتشف كيف كانت السبل تقودهم إلى الابتكار والاختراعات التي غمرت العالم كله وطورته. فهذا أديسون الذي قام بأكثر من ألف محاولة ودون يأس لاكتشاف الكهرباء حتى استطاع تحقيق أمنيته أخيراً بإضاءة الظلام،

شعرت بأنني أغوص في أعماق بحر يحوي من الكنوز أكثر مما يتخيل الإنسان. وما علينا إلا إخراجها والاستفادة منها. وللقراءة متعة لا تضاهيها متعة. يطول الحديث في تقويمي للكتاب هنا ولا يسعني غير أن أقول ما أجمله وأقومه.

obeikandl.com

وسؤال ذكي ينطلق من البائع يسأل إحداهن، أمعلمة أنت؟ فتهز رأسها بالنفي! فيقول، إذا يوم الخميس يجب عليك تناول السفوف وأن تمتنعي عن الخروج ...

المـرأة والجنـي

«هكذا قالت»: خمسة وعشرون ريالاً قيمة تذكرة الدخول، ثم تتوجهين إلى قاعة فسيحة مكيفة ونظيفة، نظام وترتيب وسرعة الإنجاز لذلك الإعجاز!. وصوت انبعث يقول خمسة خمسة يا أخواتي، تربعن هنا أمامي، خلف الساتر، ثم سأل إحداهن قائلاً: ألأول مرة تأتين؟ فهزت رأسها بالإيجاب، فأطلق عدة نفخات من نفسه ثم التقط ورقة ملونه بجانبه وكتب فيها حروفاً وأرقاماً لا يفك رموزها غير بائعه المقدام، ناولها إياها قائلاً هذه من عندي وهذه من (صيدلية العطار)! وتخرج راضية إلى الغرفة المجاورة التي يباع فيها الماء المخلوط، وقوارير رصت وسفوف بجانبها، وعسل وماء وغيرها أشياء، يناولها البائع إياها وهي بعض ما عنده، وعندما سألته المرأة كم سعرها؟ نطق بما أفاقها من غفوتها، فتحت حقيبتها وأخذت في البحث عما بداخلها فوجدت مبلغاً من المال كانت قد وفرته لتملأ به ثلاجة العيال! وأياد كثيرة تمتد وهي تطبق على عدة مئات، قالت إحداهن: لك عندي خمسة ريالات ولست أملك غير أربع مئة وخمسة وأربعين ريالاً! رد قائلاً: أحضريها في المرة القادمة، وهذه غيرها تدفع أربع مئة، وأخرى خمس مئة، والمحظوظة هي التي يطلب منها ثلاث مئة أو فوقها زيادة نصف المئة! وسؤال ذكي ينطلق من البائع

يسأل إحداهن: أمعلمة أنت؟ «فتهز رأسها بالنفي! فيقول: إذاً يوم الخميس يجب عليك تناول السفوف وأن تمتنعي عن الخروج لعدة ساعات تقضينها في البيت من أجل ألا تندمين».

وحمال ضعيف صغير البنية يؤمر بحمل الأثقال بعدما تتعبأ الأموال في الأدراج!! وفي الخارج سيارات وسيارات ورجال أزواجاً كانوا أم غير أزواج يأتي كل منهم ليتناول ما ينقله الحمال.

وفي السيارة تجلس إحداهن مع زوجها تندب حظها، فقد ضاع المصروف من أجل السفوف، وأخرى تخفي عن زوجها قيمة المبلغ المصروف الذي دفعته كي تخرج جنياً قد سكن فيها! وثالثة تواسي وتبرر لنفسها «فحياتها أغلى من نقود زوجها»، ودقائق تعدها، دقائق بسيطة كلفتها مصروف نصف شهر أكل وشرب، وتشهد أذناها عليها، دقائق بسيطة ومبالغ كبيرة تدفع فيها نفقة أسبوع لعلاج شاف بإذن الله!

ترى ماذا سيحدث لامرأة فقيرة وجنيها الذي يسكنها من جراء عدم دفع مبلغ كهذا ليتركها في حالها؟ فالمبلغ لا يتوافر في بيتها بعد أن نهرها البائع قائلاً: إذا لم يكن معك نقود أرى ألا داعي للقعود، وهذا الذي جعلها تتحمل سكنه في جسدها على الرغم من علمها بكفاءة الذي يمكنه أن يعدل بينها وبين جنها ويسكنه سكناً يليق به خارج حدود جسدها. ويظهر أن هذا تشجيع للنساء أن يقرن في بيوتهن وأن تفتح كل منهن صفحة

من الكتاب وتقرأ بنفسها وتشتري سدرة من عند «صيدلية العطار» ثم تخلطها بالماء بعد سحقها، فمن المؤكد أنه سيكون ثمنها في مقتبل كل (جنية).

تمنت إحداهن أن يسلط الجني الذي أخرجه أمامها من بدن امرأة مسكونة على هؤلاء الصهاينة قراصنة القرن العشرين يهود فلسطين، أو ليدفع من ريع ما يدخل عليه ما يملأ صندوق القدس، أو صندوق دعم المتضررين، أو ليحدد الأسعار قبل أن تصل إليه عيون الوزارة لحماية المستهلكة المنكوبة وجنيها الفقير!!

obeikandl.com

وبكل شجاعة.. لا أدري من أين أتتني، فطلبت منهن الاستماع جيدا لشيء هام أريد أخذ رأيهن فيه ...

الحصـار!!

روت وبكلمات مليئة بالأسى كيف فقدت الشعور بالسعادة وفقدت الثقة بالجميع، فوالدها لا يرحمها، وتحريض زوجته الدائم بكل ظلم وتعسف زاد من بعده عنها وعن إخوتها فلم تجد الصدر الحنون الذي ترتمي عليه كلما احتاجت إلى البكاء والشكوى، وقد عانت الكثير ولم تجد من يفهمها حتى صديقاتها، فقدت ثقتها بهن، وأرادت معرفة من هي الصديقة التي تستحق الاستمرار معها فوضعت الخطة التالية قائلة:

لم أكن أستطيع استنتاج ما يمكن أن يصادفني من الذين لم أراهن منذ زمن قريب.. كان بالنسبة إلي عمراً طويلاً خاصة بعد أزمة مررت بها، ولم أستطع أن أغفر لهن ما فعلنه بي، فقد كانت ردة الفعل على نفسي قوية جداً وهو ما أدى إلى فقد الثقة بالجميع، كما فقدت راحة نفسي وقتها! وأردت اختبار كل من صديقاتي على حدة، وبدأت الاختبار وأعطيت كل واحدة منهن بعضاً من أسراري المصطنعة، سراً واحداً لكل واحدة منهن وانتظرت النتيجة، وكانت مذهلة حقاً! فقد بدأت الأسرار تتكشف، ورجعت إلى قائمتي لأراجعها لأرى من التي أذاعت سري من الموضوع الذي زودتها به؟ واكتشفت من هي! وأشقاني

اكتشافي بقدر سعادتي بكشف الغطاء عن وجوههن التي ظهرت على حقيقتها أمامي، فقد كشفن جميعهن السر، وكان وضع قراري بالانسحاب من حياتهن هو القرار الوحيد الصحيح في حياتي الذي اتخذته عن ثقة بعدم الرجوع فيه.. ولكن كان هناك سؤال يفرض نفسه أمامي ولا أستطيع الهروب منه، حاصرني في كل دقيقة مررت بها، هل أواجههن باكتشافي هذا بخطتي التي كشفتهن أمامي؟ وهل يستحقن أن ألقنهن درساً لعلهن يفقن منه ويندمن على ما بدر منهن في حقي؟ قرار لم يكن من السهل تنفيذه ولكن ضاق به صبري وصدري وقررت ذات يوم وضع حد لعذابي فقد كان في قلبي نوع من حب الانتقام لأجعلهن يخجلن من تصرفهن تجاهي! حتى كانت تلك الليلة التي لا أنساها؛ فعندما اجتمعن في منزل إحداهن وقفت وبكل شجاعة.. لا أدري من أين أتتني، فطلبت منهن الاستماع جيداً لشيء هام أريد أخذ رأيهن فيه وسكتن بعد تعليقات مثيرة للاستفزاز زادت من شجاعتي وثقتي بنفسي وقتئذ.

أخذت أنظر لعيونهن المتجهة نحوي وشغف يتملكهن في معرفة ما سأقوله، وسألت نفسي من أين أبدأ وبمن بهذه أم بتلك؟ وأخيراً وقع اختياري على إحداهن وهي التي نالني منها أكبر إساءة، والتي أذاعت سري بكثير من الإخراج والمواقف الملفقة المحبوكة التي شوهت صورتي عند كل من سمع بها، وقبل أن أوجه كلامي إليها نظرت في عينيها بكل تركيز لا أريد لعيني

أن تغمضا حتى لا يفوتني الاستمتاع بكل دقائق التعبير من خلاله دفاعها عن نفسها.

وفجأة عدلت عن رأيي ألغيت كل ما كنت أنوي فعله! فنظرات الجميع كانت متحفزة لشن حرب ضدي، فالكثرة تغلب الشجاعة، واكتفيت بأن ألقيت بالورقة التي كنت قد دونت بها الأسماء والأسرار الموزعة عليهن! وباليد الأخرى ألقيت ورقة أخرى كنت قد أطبقت عليها يدي كتبت فيها كلمات الشاعر التالية:

إذا كان قلب المرء بالسر ضيقاً فقلب الذي أودعته السر أضيق

obeikandl.com

ماذا ينتظر إذن ليغادر المكان؟ إنه قد غادر فعلا وإن بقي جسده لبعض الوقت في المكان نفسه غادرت فرحته لتسبقه وتفرش الأرض أمامه زهورا وورودا.

القيد الأخير

بالرغم من ما مر به من معاناة إلا أن الابتسامة لم تغادر شفتيه، ظلت هناك معه في مكانه المعتاد الذي عهدناه يجلس فيه، يستقبل كل من دفع بابه ودخل للسؤال عنه أو لمصاحبته لبعض الوقت للاطمئنان عليه، رحلة ويا لها من رحلة مرت وانتهت بعد أن ظن أن الزمن توقف عند بابه وأبى أن يواصل رحلته عبر الأيام، رحلة قاسية لا يمكن لإنسان تخيلها غير من كانوا حوله يرعونه ويقفون معه في محطاته، بجميع مراحلها، أو من مر بمثل رحلته.

ها هو الآن يستعد للرحيل من مكان شهد دقائق ما مر به، رحيل لبداية جميلة خالية من الشبح المرعب الذي ظهر فجأة في حياته وجثم على صحته يريد سلبها، لم يقدم العلاج له مثل ما قدم هو لنفسه، فصبره على الآلام التي اعتقد في أحيان كثيرة بأنها لن تنتهي كان الدافع الأكبر لمده بالقوة والصمود والإصرار على المقاومة قد ساعده على صبر إجباري لا يمكن تجاهله؛ فالمكافئة مجزية ويعرف قيمتها جيداً.

يستعد للرحيل مصمماً على ترك ذكريات مؤلمة خلفه طبعت بصماتها بعمق في ذاكرته.. لا يريد غير الاحتفاظ بوجوه انتقاها باقتناع، ليصحبها معه عبر حياته القادمة، وجوه منوعة ملونة

مختلفة الألسن واللغات والطباع ولكنها متشابهة بعطائها بتفانيها بإخلاصها النابع من أعماق قلوب وضع الله فيها رحمة من نوع خاص، وجوه شاهدت لحظات ضعف كثيرة مر بها هو ومن سافر عبر الرحلة نفسها وهم كثيرون.

ماذا ينتظر إذن ليغادر المكان؟ إنه قد غادر فعلاً وإن بقي جسده لبعض الوقت في المكان نفسه، غادرت فرحته لتسبقه وتفرش الأرض أمامه زهوراً وورود، غادرت آماله لتبني خطة جديدة تغير مساراً قديماً سار فيه لسنوات واكتشف سلبياته في أثناء تأمله في رحلة صراعه الماضية، ما انتظر إلا ليفك القيد الأخير عن قلبه وليس عن معصميه، لن يفك قيده بيد كيوبيد الحب، بل بيد جراح يسحب آخر خيط أوصله بقلبه ليمده بأسلحة الدفاع القوية ضد عدو غزاه فكانت النهاية الرائعة بالنصر الأكيد سيتخلص من القيد الأخير وبعدها سيخطو إلى حرية حقيقية طالما حلم بها وتمناها بكل شوق ولهفة، لقد كان سجيناً بلا سجان في سجن بلا قضبان، كان من ضمن المساجين الأحرار: قيودهم معنوية لا باب يُحبسون خلفه ولا سور يحجبهم وراءه.

حمل حقيبته فوق كتفه وخطا إلى الخارج .. وقف يستنشق هواء لم تتذوقه رئتاه من قبل، له تأثير مختلف عن كل هواء.. رأى سماء تختلف عن كل سماء، حتى البشر أشكالهم مختلفة عن ذي قبل، ماذا جرى؟ عين من ينظر بها؟ إنها ليست عين رأسه بل هي عين قلبه بعد أن تخلص من القيد الأخير.

فالسيدات النجيبات وزعن مسؤوليات راحتهن من داخل محافظ أزواجهن بينهن وبين الخادمات، كما توزع الدول موظفيها على الدور الحكومية؟

المهرجان الفريد!

توجد ظاهرة في بلادنا قلما توجد في بلاد أخرى لمهرجان فريد يثير التساؤلات.. ألا وهو مهرجان تجمهر الشغالات في البيوت خصوصاً عند المناسبات العائلية. فتصحب كل سيدة خادمتها لتحمل عنها طفلها وشؤونه، وتحمِّل عبء الازدحام على الآخرين..

نجد في أغلب بيوتنا أكثر من خادمة يكاد يكون لكل طفل واحدة ترعاه بجانب مهامها الأساسية، ألا وهي تنظيف المنزل بدلاً عن ست البيت! ولكن من الواضح أن ربات البيوت اللائي من المفروض أنهن أمهات حدث لهن خلل فني عطَّل بعضاً من ديناميكية الحركة لديهن.. فلم يعد لدى الأم طاقة للركض خلف طفلها، إذا بدأ يتعلم المشي، كما لم يعد لديها سعة الصدر التي بها تحتضن وليدها لترضعه ولو عن طريق الرضاعة الصناعية.. إضافة إلى قيام الخدم بالطبخ والنفخ سواء كانت طباخة متخصصة "وتلم بأمور النظافة والأمراض المعدية التي تنتقل بواسطة اليد أو لا تلم بذلك قبل إعداد الطعام"؛ فالمعروف أن الكل يأكل إذاً..؛ فالكل يجيد مهنة الطبخ، بما أن الطعام وقود الإنسان وتفهمه كل اللغات.. وعلى الرغم من ذلك تجد بعض السيدات لا تتوانى عن لوم الخادمات لتقصيرهن في بعض

الأمور البيتية، متناسين أنهن المقصرات في كل واجباتهن الأسرية، وحجة بعضهن أن الخادمة هي التي يجب أن توضع في مقدمة المدفع لحماية سيدتها من لسعات الفرن ومن إصابات أخرى قد تقع على الزوجة؛ مما تتسبب في تشويه جمالها وإن لم تكن كذلك، كي لا يختار الزوج عليها أخرى خالية من التشوه " ناسيات معنى التشوه الحقيقي الذي يحدثنه في الأسرة وترابطها". ويغمضن أعينهن عن عيون أزواجهن التي ترى وتعي من يقوم بكل تلك المهام، ولا يحذرن من أن يقع اختيار الأزواج على ترقية الخادمات إلى مرتبة ستات البيوت من الدرجة الأولى كما هو شائع الآن.

شيء جميل أن نساعد هؤلاء على حياة كريمة فنقتسم معهم المال وكذلك العيال! فالمال يذهب بالملايين إلى بلادهم، وعيالنا تذهب بعقولهم لعاداتهن وإن كن على غير ديننا... تكسرت لغتنا العربية وطعمت بلقاح يلتف حول ألسنة الصغار بل والكبار أيضاً مثل: " ماما في نايم" بدلاً عن أمي نائمة أو "بابا في روح" بدلاً عن خرج أبي وهكذا...اختلطت الأمور وأصبح من الصعب على كثير من الأزواج إقناع زوجاتهم بالاستغناء عن الخادمات وبضرورة أداء واجباتهن من رعاية البيت والأطفال! وعلى الأقل القيام بالطبخ، فهو أمر ليس بعضال، ولكن الاستغناء عنهن أصبح أمراً محالاً، فإذا حدث واستغنت عن الخدمات المقدمة لها كيف سيتسنى لها السهر مع الفضائيات أو الصديقات خلال "أيام

الأسبوع" والتي شرفوها بألقاب تزيد من غلاها لديهن؛ لما تقدمن فيها من أطباق غنية ومأكولات شهية فمثلاً: "الإثنينية" وتعني سهرة يوم الإثنين، أو "الثالوثية" بالطبع ليست ثلاثية نجيب محفوظ.. بل سهرة الثلاثاء الجميلة التي فيها تكسرن روتين الحياة الممل.

ليس ذلك فحسب بل أصبح هناك إرهاق شديد على الأزواج بسبب تخلخل ميزانية الأسرة؛ فالسيدات النجيبات وزعن مسؤوليات راحتهن من داخل محافظ أزواجهن بينهن وبين الخادمات، كما توزع الدول موظفيها على الدوائر الحكومية؟ ولكن بعدة اختلافات أولها: أن الخادمة تنال راتبها كاملاً لا ينقص هللة واحدة ناهيك عن العلاوات وغيرها، وتعيش معززة مكرمة مبجلة تأكل مما يأكلون وتشرب مما يشربون وتربي أطفالهن "على غير ما يحبون"، وترسل نقودها إلى دار قوم ينتظرون وهي وأهلها المحظوظون، ونحن وأنت المظلومون.. أما أزواجهن فيعملون ويتعبون وآخر الشهر لا تجد في جيوبهم ما يوفرون.

كما تطورت الأمور في بعض الدور فانتقلت الخادمات للنوم في غرف "البيبيهات" والأطفال لتولي مهام الإرضاع والإطعام وتدويخ الصغار بهزهن حتى يفقدوهم الوعي والرغبة في البكاء.

والست المصون تنعم بنوم جميل في أحضان السعادة ! حتى يأتي الصباح... وأفضل أنا التوقف عن الكلام الذي ربما لا يكون مباحاً !

الإنسان الذي جلس بين أبناء وطنه في الأسواق يأكل من طعامهم، ودخل بيوت الفقراء لتأمين حياتهم، ليس مستغربا أن يكون مرسال سلام للصفح عن زلات أبنائه...

نداء الحب

كوني أماً حملت أبناءها في أحشائها أطعمتهم من دمائها واحتضنتهم بين أضلعها، شعرت بمشاعر أمهات تاهت فلذات أكبادهن في ظلمات الضياع، بعد سقوطهم في هاوية الضلال وانجرافهم خلف معتقدات خاطئة، ليت تطرفهم بقي في معتقداتهم فقط ولكنه امتد ليدمر ويقتل من ظنوا بأنهم أعداء، وكذلك أطفال ونساء وشباب بلادهم، فظلموا أنفسهم حين منحوا من قتلوهم شرف الشهادة، وتدنسوا هم بإثم القتل، وتلطخت أيديهم بدماء كل الناس، فمن قتل نفساً واحدة فكأنما قتل الناس جميعاً! كيف نسوا ذلك ؟ أم أنهم تناسوه؟! أم قيل لهم: إنهم من ذلك الإثم معصومون وإن الله لن يحاسبهم؟.

قال الله في كتابه الكريم : ﴿ **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ وهذه الآية كفيلة بأن توضح لهم معنى وجود الجاليات من جميع بلاد العالم على أرضنا وأرض دول العالم جميعها، ومن المؤكد أن فعلهم العنيف لمحاولة تغيير طبيعة مسيرة الحياة مستحيل ومذموم، فأرضنا ليست ساحة قتال لمحاربة الأعداء فوقها، بل هي أرض آمنة يجب أن ينعم كل من عليها بالأمان.

" أبناءنا" أحضان بلادكم مفتوحة لكم كما قلوبنا، عودوا إلى النور بنداء الحب الذي وجهه إليكم مليكنا على لسان ولي عهده الأمين، الإنسان الذي جلس بين أبناء وطنه في الأسواق يأكل من طعامهم، ودخل بيوت الفقراء لتأمين حياتهم، ليس مستغرباً أن يكون مرسال سلام للصفح عن زلات أبنائه، ولمد طوق النجاة لانتشالهم من براثن الشيطان، لا زال باب الرجوع مفتوحاً أمامكم وبقلوب ملتاعة ينتظركم أحباؤكم. عودوا إلى الحياة بعودتكم إلى دياركم كيف تتشردون وبلادكم حرة؟! كيف تقتلون الأبرياء والمفروض أنكم دروع لهم، عودوا إلى صوابكم إلى أمهاتكم وآبائكم إلى أوطانكم، لتحموا دياركم بدلاً عن تخريبها عودوا وتذكروا أرض الحرمين الشريفين مهبط الوحي التي بزغ نور الحق بين شعابها ليعم أرجاء المعمورة، ألا تستحق أن تتوبوا من أجلها، ألا تستحق أن ترفعوا راية أمنها بدلاً عن إرهاب أهلها، ارموا سلاح الضلال وعودوا لأحضانها فلا يزال في الوقت متسعاً قبل فوات الأوان، وشمس بلادنا ستظل تسطع بالإيمان حتى في الظلام، فسيروا على هديها.

لتكن أيدينا جميعاً يداً واحدة عرباً مسلمين وكل المقيمين داخل حدودها، تصد رياح الدمار عن أرض السلام.

أبناؤنا، لا نريدكم أن تكونوا أداة رعب في أي مكان ولا زمان، بل نريدكم حمامات سلام تطوفون العالم حاملين أغصان

زيتون تزرعونها، ناشرين صفات الكرم والشهامة العربية الأصيلة، عودوا إلى بلادكم فهي بحاجة إلى بنائكم، ارموا معاول الهدم وبدلوها بأخرى للبناء، لا تغمضوا أعينكم وتصموا آذانكم، فنداء الحب موجه إليكم، نداء الحب موجه إليكم، نداء الحب موجه إليكم، لترفعوا راية السلام لأمنكم.

opeikandl.com

يتام وأرامل وشيوخ يبكون على الأطلال، لا يملكون غير الدعاء بجانب الحجارة التي تفتتها لهم إسرائيل بهدم بيوتهم ومساكنهم بوقاحة معتادة منها وكأنها تقول لهم، هذه حجارة أصيلة من بيوتكم عساها تنفعكم!!!

أظافر مسمومة!؟

نظرت إلى يدها وإذا بأصابع كفيها وقد تنافرت وتباعدت وظهرت فجوات تؤلمها! أين الحلي التي كانت تزينها؟! أين السخاء الذي كان يملؤها؟ امتدت يد غاشمة، وانتزعتها يد من سال لعابه طمعاً فيما يملكه غيره، يد تسلب خيرات في عقر ديار أصحابها، وتمتد أياد كثيرة تساعده وتنشب أظافرها المسمومة في رقاب من كشف غطاءها.. أظافر مطلية بطلاء اعتقدت أنه يخفيها.. لا؛ وألف لا فالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

لا وألف لا، فالشوكة المسمومة ستقتلعها ولو بأسنانها إن لم تساعدها يدها الأخرى، يد تندفع بواعز من ضمير حي لتغرزها في قلب من شاكها، وإن لم تجد تلك الأيادي ستقتلعها بإرادتها وإيمانها.

وقفت حائرة وهي ترى البيوت تهدم فوق رؤوس أبنائها، يخمد صوت كلما ارتفع بمدفع أو قذيفة أو دبابة، وترتع أرجل نجسة على أرضها، ماتت قلوب أصحابها وأعمت الأنانية والحقد أبصارها.

تتجه أنظار العالم إلى وسائل إعلام كثيرة، وأحاديث حرب منتظرة تغزو كل نشرات الأخبار، تدمى لها كثير من قلوب أحباء السلام. وتغمض أعين كثيرة عن الوحشية التي يمارسها أعداء الإنسانية الخونة على أرضها التي سلمتها لهم بلاد تعودت استعمار الغير علناً وبتحد للعالم أجمع. حرب أخرى يعدون لها تركز على سلب خيرات بلد تفوق خيرات بلادهم. ينتظرون أمراً ببدء دمار يخططون له.

أسلحة دمار شامل تملكها الصهاينة.. والقتل والتدمير وهدم البيوت التي أكثرت منها هذه الأيام منتهزة فرصة اتجاه الأنظار بعيداً عنها، وهي كعادتها تعمل بالمثل القائل: "إذا غاب القط العب يا فار" وعلى ما يبدو أن قطط العالم قد انقرضت وتركت الساحة للفأر ليرتع دون رادع. تقتحم المخيمات لعدة ساعات فقط فتخلف وراءها خراباً وجثثاً تجمد الدم في عروقها، وأخرى تعاني الألم ودماء تتفجر كحمم بركان من أعضاء أصحابها، أيتام وأرامل وشيوخ يبكون على الأطلال لا يملكون غير الدعاء بجانب الحجارة التي تفتتها لهم إسرائيل بهدم بيوتهم ومساكنهم بوقاحة معتادة منها، وكأنها تقول لهم: هذه حجارة أصيلة من بيوتكم عساها تنفعكم!!! وتجتهد أكثر من أي وقت مضى لتوقع بالشعب الفلسطيني الدمار والخراب أكثر وأكثر خشية أن يفيق العالم ويضع حداً للسلام المتوقع ولو بنسبة واحد في المئة، فتكون بذلك قد دمرت ما يمكن من البنية التحتية حقداً وتخطيطاً لأهداف أخرى.

ويصرخ أحباء السلام نرفض الحرب ونريد السلام. فلسطين الحبيبة اصمدي، فقلوبنا تدعو لك ولأبنائك البررة الذين يفدونك بدمائهم، مهما حاول الظالم إبعاد أعين العالم عنك لن يستطيع، فالشمس لا تحجبها السحب دائماً، وضوؤها يشع ولو من خلف ألف سحابة.

opeikandl.com

هذا يثبت للعالم بأسره تضامن المسلمين في أنحاء الأرض، ويؤكد ثقتهم بأن الحق سيظهر مهما طال الزمان ...

إلى فلسطين الأبية

ليعلم الفلسطنيون في فلسطين الأبية أن كل مسلم يدعو لهم بالنصر والقوة ويشد من أزرهم، ولا نحتاج أن نذكرهم بأن شهداءهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون وإن غادروهم بلا عودة؛ فسترجع أرواحهم لمشاركتهم النصر العظيم الذي سعوا جميعاً لتحقيقه، ونحن جميعاً بانتظاره وعلى ثقة من قرب موعده.

وقد أظهرت حملة التبرعات التي تقوم بها المملكة الحبيبة مدى حبنا لشعب فلسطين وما نشعر به من معاناته، ونشاهد وبألم يعتصر قلوبنا جميعاً ما يحدث من أعداء الإنسانية جمعاء، هؤلاء الصهاينة السفاحين من تقتيل وتركيل بالإنسان الفلسطيني الذي يدافع عن أرضه وعرضه. ونرى كيف يزداد شرفاً بموته. وإن استطاع الطاغية المستعمر قتل وتدمير المساكن وإزهاق أرواح المئات من الفلسطينيين فلن يستطيع إزهاق الروح المعنوية لديهم، فهي تقوى مع كل عملية هدم للمساكن والبيوت، ونحن معهم بقلوبنا ودعائنا وأموالنا، والدليل هو وقوف الشعب السعودي وكل المقيمين العرب والمسلمين فيه من صغيرهم قبل كبيرهم بالتبرع بما تيسر لهم من المال أو المجوهرات وغيره، و كان منظراً مؤثراً زاد في قلوبنا الرغبة الأكيدة لمد العون وعمل الخير لإخواننا

المسلمين في كل مكان.. أولئك الأطفال المعاقون الذين أتوا لكي يساهموا بدورهم في تقديم ما تجود به أنفسهم وقلوبهم المليئة بالحب لأبناء الشعب المناضل. ذاك طفل جاء يحمل لعبة لطفل صغير لعله يستطيع بها تقديم بسمة يطبعها على وجه صغير آخر يعاني من الاحتلال، ويهديها له بكل حب ورغبة في تقديم المزيد، وآخر يهدي لوحة خطتها يده الصغيرة، نقش فوقها شعراً يشد من عزيمة الصغار والكبار فيه، قام بإلقائه بنفسه بصوت مليء بالبراءة والتعاطف لأطفال الحجارة الفدائيين.

هذا يثبت للعالم بأسره تضامن المسلمين في أنحاء الأرض، ويؤكد ثقتهم بأن الحق سيظهر مهما طال الزمان ومهما حاولت إسرائيل إخفاءه، وقد أثبتت إسرائيل وبغباء للعالم أجمع ودون أن تعي تعنتها وظلمها للإنسان الفلسطيني، واستطاع الصحفيون نقل المجازر التي يقوم بها حفدة القردة والخنازير للإنسانية في فلسطين، ووضح كذلك نقضها لكل القوانين الدولية وضربها عرض الحائط أمر الولايات المتحدة بالانسحاب الفوري من الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولكنها تأبى أن تغادر إلا بعد هدم كل بيت وتشريد واعتقال وتقتيل أكبر عدد ممكن من الأنفس. ولكن لن ينتصر الظلم أبداً مهما طال الأمد، فلابد للمظلوم أن ينتصر بعون الله؛ فالله يسمع ويرى. ونحن جميعاً مع الفلسطينيين وكما قال الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه: الخير فيَّ وفي أمتي إلى أن تقوم الساعة. أو كما قال ﷺ.

تصرف الفرنسيون في المكتب الذي يعمل به بعد مكالمته لهم بسرعة لتوصيل الشريط إلى العالم قبل أن يقع في أيدي بني صهيون أكبر دليل على هول ما رأوه من وحشية تقشعر لها الأبدان

موقع وصورة!؟

إخراج الفلسطينين من منازلهم وهدمها أمامهم وأمام العالم بأكمله وبكل وقاحة وكأن تلك الحشرة الضئيلة تستمد شجاعتها من جبن العالم الذي أصبح يقف متفرجاً ومطلقاً شعارات الاعتراض كعادته بعد كل عملية قتل وهدم؛ ومتحدثاً عن سلام وهمي للمماطلة الإسرائيلية التي لن ينتهي أجلها، للعدو الحق أن يطمئن، فقد استساغ غدره واعتاده وأصبح إدماناً لن يتوقف عنه أو يبرأ منه إلا إذا جاءه الأقوى ووضعه في خانته الصحيحة التي تليق بمقامه. في لقاء مع الصحفي الجريء الذي عرض نفسه للخطر في سبيل نقل صورة من أبشع صور الإجرام الذي يقوم به الإسرائيليون أعداء الدين والإنسانية، نقل إلينا معاناة فئة من الشعب الفلسطيني في منطقة واحدة من الأراضي الفلسطينية رآها بأم عينه، وقد ظل تحت طلقات الرصاص مدة لا تقل عن ساعتين متخفياً مع كامرته التي نقلت جزءاً ضئيلاً نيابة عن عينيه وما رأته، وقد كاد يفقد عقله من هول ما رأى على أرض الواقع وما يحدث فيه، وأكد بأن الكاميرا مهما حاولت نقل ما يحدث من دمار وبطش وقتل وسلب ونهب ووحشية تتبرأ منها الإنسانية لن تنقل ما يعانيه هذا الشعب الأعزل، فقد رأى بنفسه قسوة

الصهاينة التي لا تعادل قسوتها قسوة على وجه الأرض، فقد كان على خط التماس كما يكون دائماً، ورأى البطش الذي يمارسه الصهاينة وكيف ينعكس ذلك بقوة خارقة يضعها الله في قلب كل فلسطيني، وتظهر الشجاعة الحقيقية بحجر ضئيل يلقي به الطفل في وجه العدو المغتصب لبلاده، عدو يعتبر جيشه أقوى خامس جيش في العالم!؟ هذا الصحفي الجليل " طلال حسين أبورحمة" مدير التلفزيون الفرنسي في غزة ومصور صحفي، كيف وجد صعوبة بالهروب بحقيقة تدين الصهاينة الأوغاد وكان بصحبته في موقعه بعض الشباب بين عمر الرابعة عشرة والسادسة عشرة!! عاش الجميع لحظات الرعب مع الدرة ووالده وكل من شاهد الحدث، رأى كيف تتصرف الكلاب المسعورة تجاه البشر.

وقد تصرف الفرنسيون في المكتب الذي يعمل به بعد مكالمته لهم بسرعة لتوصيل الشريط إلى العالم قبل أن يقع في أيدي بني صهيون أكبر دليل على هول ما رأوه من وحشية تقشعر لها الأبدان. وكيف ساعد التلفزيون الفرنسي على توزيع صور محمد الدرة مجاناً لجميع أنحاء العالم، كما عرض عليه الملايين ثمناً لفضيحة تدين إسرائيل بأفعالها المشينة ضد الإنسانية ولكنه أبى على نفسه بيع حقيقة!! "ليته باعها في صالح الشعب الفلسطيني البطل" !! بل رفض وبإصرار قائلاً: إن كرامة الصحفي ورسالته أغلى ثمن يحصل عليه! ولكنها في الواقع أضافت بصمة شرف على جبينه.

كانت المشاعر مختلطة في داخله ووصفها بأنها كانت أقوى من خلط الأوراق المبعثرة، فقد كانت مشاعر مجنونة كعدسته المجنونة التي كادت تؤدي به إلى الهلاك، ولكنه في النهاية كشف بعضاً من غطاء يخفي خلفه أبشع صورة وأفعال يتصف بها كائن على وجه البسيطة.

opeikandl.com

هذا هو رمضان عام ألفين وواحد.. تسبقه الحروب وجثث الموتى والعنف والإرهاب الذي من الواضح أنه ينذر بشيء آت سيعطي العالم كله درسا لن ينساه سواء بالسلام أم بغيره

رمضام عام ألفين وواحد

كل عام والأمة الإسلاميه جميعها بخير .

بشرت أمريكا وبريطانيا شعب أفغانستان بالانتصار عليه، وأعلنته على الملأ!! ربما لم تكن تقصد ذلك، ولكنها أكدت حقيقة مدعمة بتاريخ حروب المسلمين في شهر رمضان المبارك ضد المشركين، وكذلك ذكرتنا بحرب أكتوبر الذي انتصرت فيه جمهورية مصر العربية على إسرائيل في الشهر نفسه أيضاً.

هل كانت أمريكا تعي ما تقول؟ أم أرادت فقط أن تذكر العالم الإسلامي أن المسلمين قد خاضوا حروباً في رمضان، وليس هناك ما يستدعي من أمريكا وحلفائها بأن يتوقفوا عن ضرب المسلمين في أفغانستان في رمضان؟ لم تع أن النصر هو ما كان يحالف المسلمين. ولم تستجب للعالم الإسلامي بوقف الضرب لشهر واحد فقط، رأفة بشعب قد دفع ثمن جريمة لم يرتكبها هؤلاء الضحايا من النساء والأطفال والشيوخ والشباب الذين زهقت أرواحهم غدراً وظلماً.. يبكي العالم الإسلامي هذا الشعب .. قسوة برد الشتاء لم تثن أمريكا وحلفاءها عن إيقاف قنابلهم! غذاء تلقيه عليهم بيد وباليد الأخرى تدمرهم . أفغانستان الجريحة لم تضمد جراحها بعد أن قسا عليها العالم ووقف مؤيدا

ضربها، وتعرف أمريكا أهمية هذا الشهر عند المسلمين، وعلى الرغم من ذلك أصرت وأعلنت استمرارها في قرارها.

وهل تساءلت أمريكا عن الأسلحة التي استخدمها المسلمون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؟ والأسلحة التي استخدمت في شهر أكتوبر بكل تأكيد؟ لا فهي لا تعلم أن أسلحة المسلمين أقوى فتكاً من ذخائرها !. ترى ماذا ستكون النتيجة ؟.

هذا هو رمضان عام ألفين وواحد.. تسبقه الحروب وجثث الموتى والعنف والإرهاب الذي من الواضح أنه ينذر بشيء آت سيعطي العالم كله درساً لن ينساه، سواء بالسلام أم بغيره، والكل يتمنى السلام الذي أصبح حلماً يتمنى تحقيقه كل عاقل مُدرك لويلات الحروب ونتائجها المرعبة.

ليس لدينا غير الدعاء والتضرع لله العلي القدير أن ينصر الحق في العالم، وأن يحرر أرض فلسطين من مصاصي الدماء هؤلاء، وأن ينال كل من يفسد في الأرض جزاءه على ما قدمت يداه من خراب ودمار للشعوب الآمنة التي لا حول لها ولا قوة، وإن غداً لناظره قريب.

تعتبر البرامج التي تلتقي مباشرة الجمهور من أهم طرق التنفيس عن مكنونات النفس البشرية وامتصاص غضب مكتوفي الأيدي الذين لا يملكون إلا الاستنكار على شعوب تعبد الشيطان ...

شر البلية ما يُضحك من الأعماق!؟

يداهمنا الوقت أحياناً عندما نود الهروب من شيء ما.. هذا ما أكدته "بعض" برامج الإذاعة الجديدة التي عوضتنا عن إذاعة "هشك بشك" المعروفة عند كثير من الناس.

برنامج مقدمته تفتح آفاق وآذان كل من يستمع إليها، وتتعلق الآذان بالراديو والأيادي بالتليفونات بجميع أنواعها، ويبدأ المذيع بعرض خدمات الضيوف الأفاضل بالإجابة على تساؤلات الجمهور المتشوق لإيجاد ما يثلج صدورهم.. وإذا بالمذيع يقاطع بعد عدة ثواني من بداية حديث المشارك الكريم في محاولة للتزويغ من الإجابة نيابة عن الضيف الفاضل، ويطلق عبارته الشهيرة "لقد داهمنا الوقت وسنرد على متسائل آخر" وتبدأ الموسيقى التصويرية السريعة المتكررة الرتم المثيرة للأعصاب لتحل مكان إجابات الضيف المنتظرة، وتستمر لوقت يكفي فيه الإجابة عن تساؤلات مستمعي إذاعة MBC مجتمعين.. ثم يبدأ الضيف بالإجابة عن بقايا تساؤلات بعد الفاصل الموسيقي الطويل لأسئلة لم نسمعها بعد أن يكون المستمع قد تشتتت أفكاره وتبعثرت أعصابه على سماعة هاتفه، وخسر من المال، في أثناء

انتظاره الطويل قبل بدء المذيع التحدث معه ما يشبع إنسان جائع عطشان يقع تحت ظلم براثن الغرور والجبروت الأمريكي وحلفائه الشهيرين.. وهكذا دواليك!؟.

تعد البرامج التي تلتقي مباشرة الجمهور من أهم طرق التنفيس عن مكنونات النفس البشرية وامتصاص غضب مكتوفي الأيدي الذين لا يملكون إلا الاستنكار على شعوب تعبد الشيطان وتقدس الاحتلال ومص دماء الشعوب العربية الإسلامية باسم الحماية المزيفة الظاهرة للعالم أجمع وكشف ما يمارسونه من دهاء يفوق دهاء ثعلب ماكر مكشوفة ألاعيبه أمام أصغر طفل عربي حر. ليترك المذيع ضيفه ليفصل في الأمر، وبكل تأكيد سيكون أي الضيف له دراية كافية بالإجابة اللبقة التي تشفي غليل قلب محروق يدمي عن بُعد مع جراح مكلوم بأخيه وأخته وأبيه وأمه وطفله، دون إثارة متاعب هو في غنى عنها.

رأفة بعقول المستمعين يا مقدمي البرامج الهامة، ورأفة بقلوبهم الملتاعة على إخوانهم في العراق وفلسطين بل في كل بقاع الأرض، فبرامجكم هذه يجب أن تعطي الأمل لمن لا يملك السلاح ليقاتل به.. بل الكلمة التي تكون في كثير من المواقف أحد من السيف على العدو وتعطي الشجاعة والحماس ولو بالتضامن مع الأبرياء بالدعاء عبر إذاعة جديدة أسعدنا ظهورها في عالمنا قبل أن يداهمنا الوقت.

نيران صديقة سيوزعها جنود الله عليهم بعدله وجبروته وقوته، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. صدق الله العظيم.

ومن الصداقة ما قتل!؟

اشهد يا نهر دجلة وأنت يافرات والبحيرات العذبة في العراق، اشهدوا على حق يكاد يغتصب من أهله في أرضه في بيته في خيمته في صحرائه، اشهد على اليد الغاشمة الحاسدة عدوة الله، اشهدي يا آبار نفط ستحرق مغتصبيها إن استطاعوا إليها سبيلاً، اشهد يا كل عربي وكل مسلم وكل إنسان حر في أنحاء عالم غيور على أرضه وعرضه، اشهد على المعتدي الأثيم، اشهدي يا بقايا أجساد بريئة طاهرة قطعت بصواريخ قذفتها أعداء الإنسانية أعداء الكرامة وحرية الآخرين، اشهد يا فضاء حلقت في سمائه طائرات فأشعلتها نيران ظالم جبار.

اشهد يا عالم الأحرار في فلسطين والعراق والعالم على نهاية ظالم سيحترق بنيران صديقة سيسلطها الله عليه بأيديهم ليكونوا عبرة في تاريخ كتبوا فيه بأنفسهم قصتهم من الخزي والعار والمهانة.

نيران صديقة يسلطها رب العالمين رب المظلومين رب الكون عليهم، ليكونوا عبرة لأجيال قادمة ترسم خارطتها في تاريخ الحرية على أرض دجلة والفرات.

لن يستطيع عدو مهما اقتنى من معدات تدميرية وأسلحة يهودية أن يقيد ولو بسلاسل الدنيا عقولاً أبية قوية تدعمها روح الله، سلاحها الإيمان، سلاحها الدعاء، سلاحها الكرامة، والإباء والشجاعة والإقدام، تعودت على الحرية والكرامة، من شيمتها الدفاع عن الأوطان والموت بشهادة الأحرار.

نيران صديقة سيوزعها جنود الله عليهم بعدله وجبروته وقوته: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ صدق الله العظيم.

الشهداء من الأبرياء نساءً وأطفالاً، كباراً وصغاراً، لم يموتوا بل هم أحياء عند ربهم يرزقون.. نيران صديقة تقول للعالم: "ومن الصداقة ما قتل".

هنيئاً للشهداء بلقاء الله في جنات الفردوس.

openkandil.com

تقولين خراب ودمار هنا وهناك!! لا تقلقي يا خالة لا تقلقي، فشركات المخرج العملاق تحسب ميزانية الإعمار ...

هوليوود على أرض العراق!

انتهى التصوير يا خالة انتهى التصوير، جففي دموعك يا خالة انتهى التصوير، سقط القناع ودمرت بغداد؟ لا تقلقي سيعيدون بناء ديكوراتها.. نعم يا خالة قالوا بأموال وثروات مخزونة في أرضها وأنهارها، في حقولها ووديانها.

انتهى التصوير يا خالة انتهى التصوير! تسألين أين البطل أين ؟ إنه هنا مدفون في أرضها فوق طرقاتها وتحت أنقاضها، ودماؤه الغالية تحرس ترابها؛ لتشاهد يا خالة فيما بعد من سيحمل زمام بغداد من بعده، من سيرفع لواءها على راية كرامتها؟ انتهى التصوير يا خالة انتهى التصوير.

نعم شاركت جموع الشعب يا خالة في تصوير حلقات تاريخها وعبر ثغرة صغيرة لا تكاد تظهر فوق الخريطة رسمها، جاء مخرجها بصواريخ تطلق في فضائها ناراً لتضيء ظلام ليلها، وطائرات استكشاف بأحدث اختراعاتها توجه قذائفها يا خالة لتسمع حتى الأصم صوتها.

عشرون يوماً يا خالة وانتهى التصوير. وعلى الممثلين يا خالة وزعت محتويات قلاعها وقصورها، حملوها وساروا يهتفون

ويصفقون ويبصقون على دماء ممزوجة بالكرامة دافعت عن أوطانها. انتهى التصوير يا خالة انتهى التصوير.

تقولين خراب ودمار هنا وهناك!! لا تقلقي يا خالة لا تقلقي فشركات المخرج العملاق تحسب ميزانية الإعمار، وستبقى في بغداد إلى أن تبدأ التصوير على أرض أخرى يهتف لها أمثالهم لتعيد بناءها بطائراتها وصواريخها وقذائفها وحلفائها.

انتهى التصوير يا خالة انتهى التصوير.. ارفعي صوتك يا خالة ورتلي مع صدى صوت الشهيد يقول ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ واحضني رمالاً ارتوت بدم شهداء خلد التاريخ أسماءهم. انتهى التصوير يا خالة انتهى التصوير.

obeikandl.com

و للأسف أصبح دور وسائل الإعلام مثيرا للغاية، خصوصا في نقل كل ما يمكن به تدمير راحة عالم مكتوف الأيدي، بل نشر ذل البشر على مرأى من دول كانت تسود العالم ...

أقبل إذلالي مع التقدير!!

هكذا يريد أعداء الله والإنسانية.. أن يذلوا ويدمروا غيرهم من البشر بشتى الطرق، خاصة العرب وبالذات المسلمون، وأن يقفوا ساكنين مقدرين لجهودهم في الحرب ضد الإرهاب!! صور لأقسى أنواع التنكيل والمهانة يمارسها أعداء السلام مع العراقيين، وحوش آدمية تمارس طقوسها مع سجناء محتلين ومسجونين في أرضهم.

وهناك المزيد على ما يبدو قادماً ما دمنا نقف متفرجين لا نميز بين أفلام "الكاوبوي" وواقع الحال المزري، تأخير "البنتاجون" لنشر صور تعذيب السجناء دليل آخر على رخص ثمن العربي، فتعذيب هؤلاء البشر ليس بحدث مهم يجب كشفه على العالم بسرعة!! بل هناك ما هو أهم، أما التنكيل وإهدار كرامة السجناء هو فقط من أجل تسلية فتيان وفتيات "الكاوبوي".

و للأسف أصبح دور وسائل الإعلام مثيراً للغاية خصوصاً في نقل كل ما يمكن به تدمير راحة عالم مكتوف الأيدي، بل نشر ذل البشر على مرأى من دول كانت تسود العالم بشرف وقوة لتغلي الدماء في عروقها وهي مسلوبة الإرادة.

لا أدري كيف نأكل ونشرب ونضحك وإخواننا المسلمون الذين يقعون تحت احتلال الطمع والجشع والسلب والنهب ويعانون شتى أنواع التعذيب المهين الذي لا تقبله كرامة إنسان حر.. بل كيف نستسيغ قراءة صحف تكتب عن ضرورة سجن مهربي الآثار ولا تكتب عن سجن الذين يقبلون بالذل لإخوانهم، وأي معرض ذاك الذي يفتتحه شيراك للفنون الإسلامية في باريس؟! أي فنون تلك التي يهم برؤيتها؟ ربما يكون هذا نوعاً آخر من التأبين لتراث لن يتكرر قبل اندثار أحفاد صناعه.

مأساة أخرى ولدت بأيد مدفوعة، برنامج سوبر ستار الذي يختار في حلقاته من يملك الصوت الجميل والشكل الجميل عله أن يشنف الآذان بالطرب ليساعد على كتم صراخ وآهات المعذبين في أوطاننا.

أين كُتاب الأغنية الحماسية، لترفع من معنويات المنكوبين المحتلين في بلادهم المغتصبة، لتحمسهم وتقويهم ولو بكلمات تظهر ما تكنه مشاعرنا المقيدة، أتمنى لو يشاركون.. نحن جميعاً نعلم أن الله يسمع ويرى ولا نملك نحن الضعفاء غير التضرع لله بأن ينصر الحق ويمحق الباطل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تفاجأ الجميع وصعق من الصدمة الكثيرون، خدرت أحاسيس وشلت عقول عن التفكير، وانقلب النصر إلى مأساة يعجز القلم عن وصفها ...

هستيريا الحروب!!

أخي الإنسان، أدمت قلوبنا أحداث الأربعاء والاستسلام الغامض الذي فاجأنا جميعاً، ذاك الأربعاء.. أربعاء الهزيمة العراقية المدبرة، التي لم يقتنع بها أي من الأحرار الذين كانوا يؤمنون بالنصر الأكيد بالجهاد والتضحية بما هو ثمين ألا وهي الحياة نفسها.

في يوم الأربعاء نفسه كتبت بدموع عيني بعد محاولتي للخلو بنفسي لنيل بعض الراحة بعد تعب وإرهاق دام عشرين يوماً مع العذاب النفسي الجسيم، بين أصوات القنابل والصواريخ الموجهة نحو أبرياء وصراخهم ونواح الأرامل والمصابين والمنكوبين على شاشات التلفاز.

الأربعاء نفسه كنت قد التقيت سيدة عراقية كانت تبكي وبحسرة على ما يقع في بلدها من اعتداءات غاشمة بحجة التحرير! رؤيتي لدموعها المنهمرة طبعت في مخيلتي ليومي هذا، دمرت وقتها ما كان بي من قوة، ولكن لم تمح شعوري بالنصر الذي كان يتوقعه الكثيرون.

ذهبت لبيتي وألقيت برأسي فوق وسادتي لعل عقلي المجهد يرتاح وأجد ما يخلصني مما أعانيه من صراع مكتوف الأيدي. لم أستطع، فتركت عيني تغمض أجفانها وتستسلم لظلام دامس عله

ينتشلني من نار تشتعل في صدري وقلبي بل في كياني كله، ولم أفلح كذلك بالاسترخاء، مما دفعني ذلك إلى الاستسلام والاتجاه إلى التلفاز كي أرى ما هي آخر الأخبار.

وهناك كانت الصدمة المؤلمة التي ما توقعها إنسان، وإذا بي أرى مقاييس الكون تختلف في عقلي وأجد عقارب الساعة تتجه للوراء، ورجع الزمن إلى حرب قطاع الطرق والعصابات، أصبح ما يحدث أمام العالم كفيلم هندي أجاد كل من شارك فيه دوره، وانقلبت هتافات الشعب الأبي الباسل بالكفاح والمقاومة إلى هستيريا شديدة أخذت تهزي بشعارات، وتمنيت لها أن تمحو مع كلماتها ما كان قد قيل !! تفاجأ الجميع وصعق من الصدمة الكثيرون، خدرت أحاسيس وشلت عقول عن التفكير وانقلب النصر إلى مأساة يعجز القلم عن وصفها.

تحاليل واستنتاجات لم تفتأ قنوات العالم العربي تنقلها، وعلامات استفهام كثيرة ظهرت في أفق عقل كل إنسان وسماء كل بلد ليراها حتى من في عينيه غشاوة!! هل صدق ما نرى؟ هل وهل و هل ؟ كثير من الهلات التفت حول عنقي وشعرت بأن ثعباناً ساماً يلدغني في كل جزء من بدني، آلامه اعتصرتني حتى آخر قطرة في دمي ثم ألقت بي سجينة خلف قضبان نفسي لا أدري أين أنا ؟ أأكون في حلم مزعج أم في كابوس يكاد يطبق على أنفاسي؟ لا إنها حقيقة يراها الجميع، ولكن ما حقيقة هذا الانكسار المفاجئ؟ هل هو فعل القوة العظمى أم الخيانة الكبرى؟ لا أدري!!